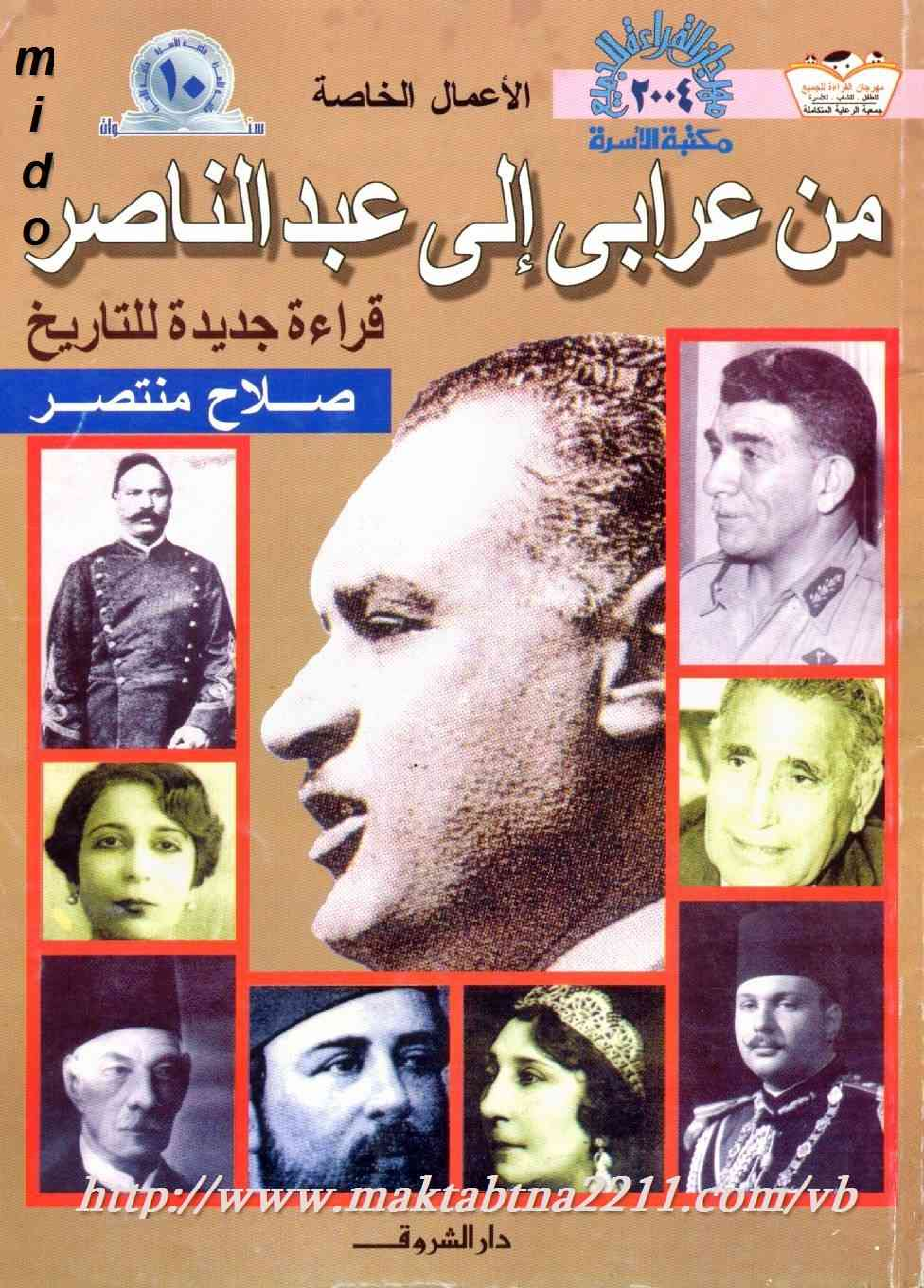
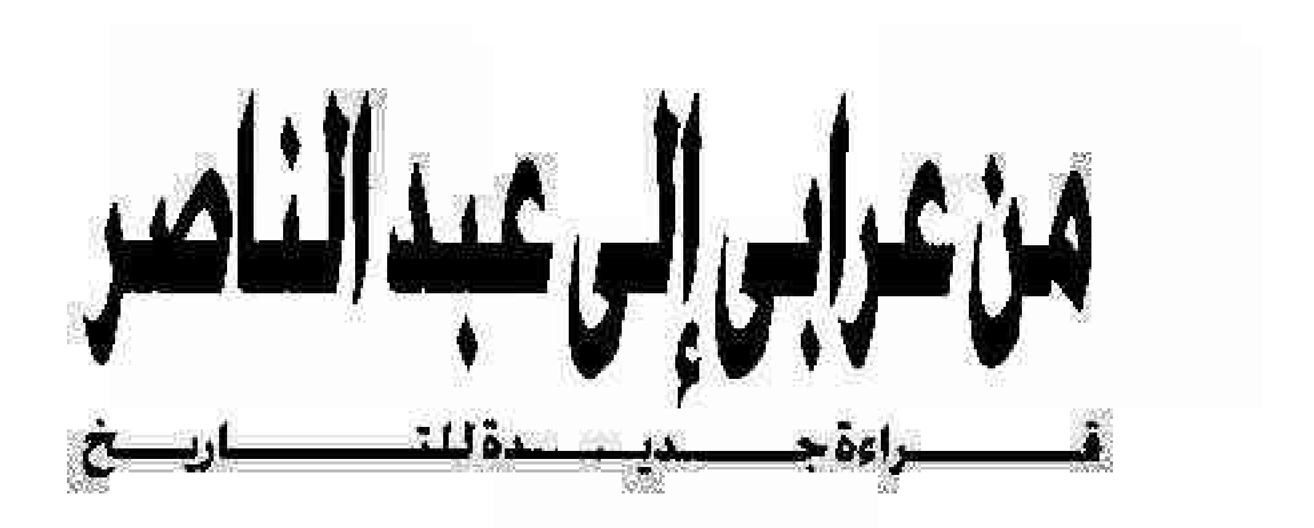


mido
الأعمال الخاصة
١٠
سنوات
مهرجان القراءة للجميع
٢٠٠٤
مكتبة الأسرة
مهرجان القراءة للجميع
للطفل . للشباب . للأسرة
جمعية الرعاية المتكاملة
من عرابى إلى عبد الناصر
قراءة جديدة للتاريخ
صلاح منتصر
http://www.maktabtna2211.com/vb
دار الشروق

صلاح منتصر



دار الشروق

السيدة التى جعلت من الكتاب وطنًا!

د. سمير سرحان

مرت عشر سنوات منذ إنشاء «مكتبة الأسرة» وأذكر أنه كان يومًا مشهودًا، حين جلسنا مع عدد من المثقفين والوزراء والمفكرين حول تلك السيدة العظيمة التى كانت عيناها تشخص إلى السماء، حيث أحلام كثيرة تدور بذهنها الذى لا يتوقف عن التفكير أبدًا.

كانت منذ سنوات قد أنهت رسالتها من الماجستير، التى كان من نتائجها ضرورة إصلاح أحوال المدارس الابتدائية، ورفع مستواها العلمى والتعليمى، وحتى مستوى الأبنية والخدمات.. فكان الأساس فى ذهنها، كما أدركت بعد ذلك معظم الدول الكبرى أن العملية التعليمية هى أهم ما يميز الأوطان، وأن الطفل الذى يمثل البذرة الأولى فى بناء مستقبل أى وطن هو البداية الحقيقية، كنا نتعجب جميعًا فى صمت ونحن جالسون حول تلك المائدة الصغيرة.. لماذا لم يفكر أحد من قبل فى الطفل، ولا أعنى صحته فقط، أو ما قد يصيبه من أمراض، أو مستوياته الاقتصادية والاجتماعية.. لماذا لم يفكر أحد فى الطفل الإنسان؟ أى فى عقل الطفل ووجدانه، والانطباعات المختلفة، التى يكتسبها من عملية التعلم، وبخاصة من القراءة الحرة، وليس قراءة الكتب المدرسية فقط.

وكان الطفل المصرى فى ذلك الوقت معتادًا أن يمسك بالكتاب المدرسى ويصب عليه كل ما فى طاقته من كره وسخط، ويحفظه حفظًا آليًا بلا فهم، ويُفرّغ هذا الفهم على الورق لينجح وينتقل من سنة دراسية إلى أخرى، أما فى آخر السنة فكانت العادة أن يرمى الكتاب المدرسى من النافذة، كأنه قد تخلص من عبء ثقيل.

كانت السيدة العظيمة، التى قُدّر لها أن تعنى بمستقبل مصر، وأن تكرس حياتها لبناء هذا المستقبل، تفكر فى الطفل كإنسان، وكعقل، وكروح.. لقد اكتشفت أن كل ذلك لا يأتى إلا بالقراءة، والقراءة خارج المقرر الدراسى، كما لا يأتى أيضًا إلا من خلال كتاب يوضع فى يده ليحبه شكلاً ومضمونًا، ويحتضنه فى سريره وهو نائم، وينطلق من خلال المادة التى يقرؤها فيه، العنان لخياله، فيسافر من خلال هذا الكتاب إلى عالم سحرى من الأماكن والأفكار والمشاعر والرؤى.

لمعت العينان الذكيتان بعمق الفكرة، وأهميتها لوطن يبنى نفسه ويضع نفسه على

مشارف القرن الحادى والعشرين، وبعد أربع سنوات من افتتاح المكتبات العامة فى الأحياء الفقيرة والمُعدمة، كانت الفكرة الرائدة قد اكتملت فى ذهنها، فأصبحت سوزان مبارك صاحبة أعظم مشروع ثقافى فى القرن العشرين وأوائل الحادى والعشرين.. «مكتبة الأسرة».

وكانت فكرة مكتبة الأسرة بسيطة وعميقة فى نفس الوقت، وهى أن تقوم بغرس عادة القراءة فى نفوس ملايين أبناء الشعب الذين لم يكن الكتاب من قبل جزءًا من حياتهم.. وأعتقد أن هذا الهدف قد نجح تمامًا، فقد كان بعض من يسخرون من الشعب المصرى، محاولين الحط من قدره يصفونه بأنه شعب **الفول والطعمية**، وأعتقد أنه الآن وبعد عشر سنوات من صدور مكتبة الأسرة، أصبحوا يسمونه بلا تردد شعب الكتاب والقراءة والعلم والمعرفة.. لكن الهدف الأعمق والأسمى كان إعادة بعث التراث الأدبى والفكرى والعلمى والإبداعى الحديث لهذه الأمة، وهذا يؤكد بالفعل لا بالكلام ريادتها وقيادتها الثقافية والفكرية فى عالمنا العربى، كما يؤكد عظمة ما جاء به عصر التنوير المصرى لينقل العالم العربى كله من عصور الظلام الملوكية والاستعمارية إلى شعوب تعيش عصر العلم والتقدم، وتبنى شخصيتها الثقافية وحضورها الثقافى على مدى العالم..

وها قد أصبحت مكتبة الأسرة بعد عشر سنوات من الجهد المضنى والمتواصل تقدم أكثر من عشرة ملايين كتاب موجودة الآن فى كل بيت مصرى، تحمل صورة السيدة التى فكرت ونفذت هذه الذخيرة من الفكر والإبداع التى تثرى عقل ووجدان كل مواطن طفلاً كان أم شابًا، ليس فى مصر فقط، وإنما فى العالم العربى كله.. وأصبحت المادة التى تضمها هذه الكتب هى أساس راسخ لتكوين مواطن المستقبل، وأصبحت معظم الدول العربية والمؤسسات الدولية تطلب تطبيق التجربة المصرية على أرضها.

هل كان مجرد حلم لسيدة عظيمة شخصت ينظرها إلى السماء باحثة عن المستحيل، أم كان مجرد حلم رائع، هائل القيمة والحجم وتحقق.. تحية لهذه السيدة العظيمة **«سوزان مبارك»**، واحترامًا وحبًا بلا حدود على قدرتها لتخيل المستقبل، وبناء إنسان جديد لوطن جديد.

وستظل صورة السيدة سوزان مبارك موجودة على كل كتاب، وفى كل بيت تُذكر كل مصرى أن الحلم الحقيقى ليس بالمال، وليس بالتهافت على الماديات، إنما هو **«المعرفة»** وبدون معرفة فى هذا العصر لا يوجد وطن، وإذا فقد الإنسان الوطن فقد ذاته.. بل فقد كل شىء يربطه بهذه الحياة.

د. سمير سرحان

بعد ٥٠ سنة على الثورة

٥٠ سنة على ثورة يوليو ١٩٥٢ يعني أن كل مسئول في مصر - باستثناء عدد محدود جداً.. كل رئيس شركة أو وكيل وزارة أو مدير عام أو موظف أو أستاذ في الكادر الجامعي.. هو من نتاج ثورة يوليو.. فلو كانت سنه يوم ٢٣ يوليو ٥٢ عشر سنوات لبلغ اليوم سن الإحالة إلى المعاش، أما من كانت سنه دون ذلك فمعنى ذلك أنه ولد وتعلم وتخرج واشتغل وتزوج وانجب في سنوات الثورة التي نما في ظلها وشرب مما أكسبته من تعاليم وقيم.. إلخ.

إن سكان مصر حسب تعداد الساعة السكانية يتجاوز الـ ٦٨ مليون نسمة، ٧٠٪ منهم على الأقل من الشباب الذى لم يتجاوز سن الثلاثين.. وهذا معناه أن ٥٠ مليونا على الأقل من أحياء اليوم لم يحضروا الثورة أو يعيشوها.. وقد كان المفروض أن يعرف شبابنا عن تلك الثورة من خلال دراستهم للتاريخ في المدارس إلا أنني لاحظت تباعد الشباب عن تاريخه ودراسته له كمادة مريرة ما يكاد ينتهي الامتحان حتى يتجاهلها ويسقطها من ذاكرته.

مع أن التاريخ هو المادة الوحيدة المليئة بالحكايات التى تحتشد فيها كل صور الدراما من بطولات وخيانات وقوة وضعف وانتصارات وهزائم ومؤامرات ودسائس..

مع ذلك فقليلون من شبابنا هم الذين يعرفون تاريخ بلادهم.. هل لأن تاريخنا صعب، أم لأن الذين يكتبونه هم الذين يستخدمون لغة صعبة!؟ وأيا كان فلقد لاحظت فى معظم الذين كتبوا ويكتبون عن ثورة يوليو أنهم يكتبون من فرضية معرفة الأجيال التي يخاطبونها بما يعرفه هؤلاء الكتاب.. فمادام الكاتب يعرف أصل الحكاية فلابد أن القارئ يعرفها هو الآخر، بينما الواقع أن كثيرا مما نكتبه حتى عن التاريخ الحديث يشبه الألغاز واللوغاريتمات لشبابنا.. صحيح أن هناك من يعرف، ولكن الحقيقة المؤكدة أن الأغلبية بالفعل لاتعرف.

لامانع إذًا من محاولة لترتيب أوراق التاريخ وعرضه بطريقة روائية أرجو أن تكون سهلة وبسيطة لمن يعرفون فتضيف ولو البسيط إلى ما عرفوا، وتفتح شهية من لا يعرفون لمحاولة الاستزادة، أو تنعش ذاكرة البعض الآخر..

ومن الخطأ القول إننى أكتب التاريخ.. بل الواقع أننى أقرأ التاريخ.. وأننى من خلال هذه القراءة أحاول الإمساك بالخيط الروائى فيه على أساس أن هذا الخط هو الذى يمكن أن يغرى الشباب بالمتابعة.. ومن الطبيعى أن تفوتنى أشياء وأشياء.. فهذا ليس كل تاريخ مصر ولكنه فصول من هذا التاريخ هدفها أن تحرض من يقرأ على حب التاريخ والإقبال عليه.. فمن لايعرف ماضيه لايطمئن إلى مستقبله.

١ - سعيد والقناة

ثورة يوليو ليست تاريخ مصر، ولكنها فصل من فصول هذا التاريخ. وكي يعرف شبابنا لماذا كانت الثورة لابد أن يعرف أولا كيف بدأت ونمت الجذور؟!

١ - بدأ السطر الأول من تاريخ ثورة يوليو ٥٢ يوم ٢٥ أبريل سنة ١٨٥٩ عندما هوت فؤوس البسطاء والفلاحين المصريين الذين بلغ عددهم في وقت من الأوقات ٢٥ ألف مصرى تم استدعاؤهم بطريق الإجبار والسخرة لشق قناة السويس بعد أن نجح فرنسى اسمه فرديناند ديليسبس كان قد جاء إلى مصر عام ١٨٣١ ليتولى منصب مساعد القنصل الفرنسي. نجح هذا الفرنسي في التعرف على والى مصر «محمد على باشا» الذى أعجبته شخصيته الرياضية فعهد إليه تعليم ابنه محمد سعيد ركوب الخيل مما أدى إلى مولد علاقة صداقة بين سعيد وديليسبس. وعندما تولى سعيد باشا حكم مصر عام ١٨٥٤ هرول إليه ديليسبس وطرق قلبه من باب الصداقة وأقنعه بشق قناة تربط بين البحرين الأحمر والأبيض، فكانت هذه القناة خيرا على الدول الأجنبية التى استخدمتها ووفرت بسببها آلاف الأميال التى كان عليها قطعها للوصول بين أوروبا وآسيا، أما بالنسبة لمصر فقد كانت هذه القناة بابا لأطماع الغرب ودخول الاستعمار في مختلف صوره الاقتصادية أولا والعسكرية ثانيا، واحتلال مصر وبدء مرحلة طويلة متعددة للكفاح الوطنى أدت إلى الثورة(*).

٢ - لم يكن ديليسبس هو صاحب فكرة القناة فقد حملها معه نابليون بونابرت

(*) كان من أهم الأسباب التى جعلت سعيد باشا يعجب بديليسبس مهارته فى ركوب الخيل، فقد حدث عندما تولى سعيد الحكم وهرول إليه ديليسبس أن أهدى إليه سعيد جوادا امتطاه ديليسبس بطريقة أثارت الإعجاب عندما قفز به حاجزا من الاحجار على مرأى من قواد الجند من حاشية سعيد. وعندما فاتح ديليسبس سعيد بعد ذلك فى مشروع حفر قناة السويس ضعف أمام إغراء ديليسبس وقبل المشروع واستدعى قواد جنده وعرض عليهم الفكرة، وكانوا معجبين هم الآخرون بفروسية ديليسبس فسارعوا إلى استحسان المشروع دون أن يبحثوه أو يقارنوا بين مضاره ومزاياه. وقد أشار ديليسبس فى مذكراته إلى هذه الواقعة فقال: «جمع سعيد باشا قواد جنده وشاورهم فى الأمر، ولما كانوا على استعداد لتقدير من يجيد ركوب الخيل ويقفز بجواده فوق الحواجز والخنادق أكثر من تقديرهم للرجل العالم المثقف انحازوا إلى جانبى، ولما عرض عليهم الباشا سعيد تقريرى عن المشروع بادروا إلى القول إنه لايصح أن يرفض طلب صديقه، وكانت النتيجة أن منحنى الباشا ذلك الامتياز العظيم».

خلال غزوه مصر واحتلالها (١٧٩٨ ـ ١٨٠١). وقد عهد نابليون إلى كبير مهندسيه في الري والطرق والجسور دراسة المشروع الذي يصل بين البحرين الأحمر والأبيض إلا أن هذا المهندس قدم تقريرا أبدى فيه مخاوفه من تنفيذ المشروع على أساس أن مستوى مياه البحر الأحمر تعلو تسعة أمتار عن سطح البحر الأبيض. إلا أن لجنة هندسية أخرى تألفت عام ١٨٤٦ من عدد من المهندسين الأوروبيين أكدت أن هذا الفرق لايمثل خطورة أو أهمية.. وهكذا لم ير المشروع النور إلا في عهد سعيد.

٣ ـ كانت مصر منذ قام العثمانيون (الأتراك) بفتح مصر عام ١٥١٧ قد أصبحت ولاية من ولايات الإمبراطورية الواسعة التي يحكمها سلطان الباب العالي (الحاكم) في تركيا ولهذا الباب العالي حق تعيين حكام تلك الولايات وعزلهم وتحديد الجزية أو الضريبة التي يفرضها على كل منهم لتسليمها إليه.

٤ ـ تعرضت مصر للحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ واضطر الباب العالي للاستعانة بجنود من الولايات المختلفة للمشاركة في محاربة الفرنسيين، وكان من بين هؤلاء الذين وصلوا إلى مصر جندي من أصل ألباني ولد في اليونان اسمه محمد على تمكن بدهائه وتودده إلى المصريين من كسب حبهم لدرجة جعلتهم يناشدون الباب العالي تعيين محمد على حاكما على مصر.

٥ ـ أسس محمد على حكم أسرة محمد على وحكم البلاد ٤٣ سنة حقق فيها نهضة إصلاحية كبيرة ارتبطت به ومكنته من أن يحصل من الباب العالي على حق توريث عرش مصر لأكبر أفراد أسرته سنا وهكذا تولت أسرة محمد على حكم مصر.

٢ - إسماعيل والديون

٦ - حقق محمد على باشا خلال فترة حكمه ثورة إصلاحية ضخمة دون أن يقترض مليما واحدا وخاض بقيادة ابنه إبراهيم باشا حروبا عديدة ذهب فيها إلى الحجاز والنوبة وجزيرة كريت وفلسطين والشام (سوريا ولبنان حاليا) مما جعل الدول الأوروبية والباب العالى تتحالف ضده وتجبره على الجلاء عن جميع المناطق التى فتحها وتقليص جيش مصر إلى ١٨ ألف فرد وعدم بناء أى سفن حربية، مع إعطاء مصر بحدودها القديمة دولة يرث الحكم فيها أكبر أبناء أسرة محمد على.

٧ - مرض محمد على فى نهاية حكمه وكان فى سن الـ٧٧، فعهد إلى ابنه إبراهيم باشا بالولاية ولكن حكم إبراهيم لم يستمر سوى خمسة أسابيع (من ٢ سبتمبر إلى ١٠ نوفمبر ١٨٤٨) ومات عن ٥٩ عاما فخلفه فى حياة محمد على عباس حلمى الأول حفيد محمد على وقد حكم ٦ سنوات كانت سنوات تخلف. وقد قتل عباس حلمى الأول بطريقة غامضة فى قصره فى بنها فخلفه محمد سعيد باشا ابن محمد على فى ١٤ يوليو ١٨٥٤.

٨ - شهد حكم سعيد حدثين خطيرين فى تاريخ مصر، الأول بدء حفر قناة السويس (٢٥ أبريل ١٨٥٩) والثانى عقد أول قرض استدان فيه سعيد ٢,٤ مليون جنيه من أحد البنوك الإنجليزية.. وقد حصل السماسرة على ٢٠٠ ألف جنيه عمولة لهم عن عقد هذا القرض مما شجعهم على تسهيل هذه القروض لإسماعيل بعد ذلك.

ومن المفارقات أن إنجلترا خوفا من زيادة نفوذ فرنسا في مصر حاولت مرارا وقف تنفيذ مشروع قناة السويس والضغط على الباب العالى لإصدار أوامره إلى سعيد باشا بوقفه إلا أن الحكومة الفرنسية نجحت فى مواجهة هذه الضغوط البريطانية وتنفيذ المشروع. وعندما مات سعيد باشا فى ١٨ يناير ١٨٦٣ كان العمل فى حفر القناة قد وصل من بورسعيد حيث بدأ الحفر إلى بحيرة التمساح. وتولى إسماعيل بعد ذلك استكمال المشروع والوصول به إلى نهايته عند السويس.

٩ - كان المفروض أن يرث الحكم أحمد رفعت ابن إبراهيم باعتباره أكبر أبناء أسرة محمد على سنا، ولكن حدث أن أقام سعيد باشا حفلا فى الإسكندرية دعا إليه أمراء الأسرة الذين لبوا الدعوة ومن بينهم أحمد رفعت، ولكن إسماعيل اعتذر لوعك فى صحته.. وفى أثناء عودة أحمد رفعت وأخيه الأصغر عبد الحليم إلى القاهرة بالقطار الخاص سقطت العربة التى تقلهما فى النيل عند كفر الزيات، فغرق أحمد رفعت ونجا عبد الحليم، وبذلك أصبح إسماعيل هو أكبر أفراد الأسرة الذى عليه الدور فى حكم مصر.

١٠ - تأثر إسماعيل تأثرا كبيرا بسنوات دراسته فى باريس وكان أبوه إبراهيم باشا قد أرسله أولا إلى فيينا عاصمة النمسا وهو فى سن الرابعة عشرة ليعالج هناك من رمد صديدى أصاب عينيه ولاستكمال تعليمه، لكنه لم يمض هناك سوى عامين انتقل بعدهما إلى باريس حيث استكمل تعليمه، لكن الأهم كان انبهاره بباريس وما فيها من جمال وروعة، ومن هنا ترسبت ميوله الباريسية التى جعلته يحلم بتحويل القاهرة إلى صورة أخرى من العاصمة الفرنسية.

١١- تولى إسماعيل الحكم فى يناير ١٨٦٣ ولم يضع السماسرة وقتا طويلا فى إيقاعه فى كمائن القروض التى أسرع إلى عقدها قرضا بعد قرض حتى قدرت فى أقل التقديرات بنحو ٩١ مليون جنيه، وهو رقم كبير جدا إذا ما عرفنا أن كل ميزانية مصر فى ذلك الوقت كانت بين ٤ و٦ ملايين جنيه مما يعنى أنه اقترض مقدما مابين ١٥ و٢٣ ضعف ميزانية مصر(*)!

١٢- شهد عصر إسماعيل نهضة تعليمية وعلمية وأدبية وعمرانية وإصلاحية إلا أنه بجانب ذلك أسرف فى القصور التى بناها ووصلت إلى ٣٠ قصرا أشهرها عابدين والجزيرة والإسماعيلية، وأسرف فى الحفلات الباذخة التى أقامها وأشهرها

(*) ساعد على تضخم الديون التى اقترضها إسماعيل دون حاجة أساسية لها ظهور شخصية إسماعيل صديق الذى اشتهر باسم (المفتش)، وقد نال إسماعيل صديق عطف الخديو إسماعيل لأنه أخوه من الرضاعة فأخذ إسماعيل يرقيه حتى نال رتبة الباشوية وتولى منصب مفتش عموم الأقاليم ومن ثم جاء لقبه بالمفتش. إلا أن الخديو إسماعيل لم يكتف بمنصب المفتش الذى أوصل أخاه من الرضاعة إليه، بل قام بتعيينه وزيرا للمالية فكان من أسباب الكوارث التى حلت بمصر إذ استمر توليه لهذه الوزارة ثمانى سنوات كان عمله خلالها التفنن فى جمع القروض وإرهاق الأهالى بالضرائب العديدة. وقد انتهت حياة إسماعيل المفتش نهاية درامية على يد الخديو إسماعيل عندما تعرض إسماعيل فى أواخر أيام حكمه لحصار الدول الدائنة وقررت تولى مندوبين أحدهما انجليزى والثانى فرنسى لرقابة تصرفات الخديو وإسماعيل المفتش المالية ووصل الأمر إلى حد التلويح بمحاكمة =

حفل افتتاح قناة السويس (١٦ نوفمبر ١٨٧٩) وقدرت تكاليفه بمليون ونصف مليون جنيه. وكان هذا بداية الاحتلال الاقتصادى لمصر(*).

إلا أنه فى المقابل شهد عصر إسماعيل العديد من أعلام الأدب والعلوم والهندسة والرياضيات والطب والقانون والفنون الحربية من بينهم علي باشا مبارك والشيخ جمال الدين الأفغانى، والإمام الشيخ محمد عبده، والسيدة عائشة تيمور، وعبد الله النديم، وعلى باشا مبارك، ومحمود باشا الفلكى، وإسماعيل باشا محمد، وحسين عوف باشا، ومحمود باشا فهمى، وعبده الحامولى وألمظ، ومحمد العقاد من الفنانين وآخرون كثيرون.

= إسماعيل المفتش على تصرفاته فأدرك الخديو ان هذه المحاكمة إذا جرت لابد أن تجره إليها فدعا إسماعيل المفتش إلي سراى عابدين وصحبه من هناك إلى سراى الجزيرة وهو يتلطف معه فى الحديث. ولم تكد العربة التى أقلتهما تجتاز حدائق السراى وتقف امام الباب القصر حتى نزل الخديو وأصدر أمره بالقبض على المفتش واعتقاله داخل القصر ومن تلك اللحظة اختفى خبره إذ تولى اتباع الخديو قتله وإلقاء جثته فى النيل فى نوفمبر ١٨٧٦.

(*) حضر حفل الافتتاح يوم ١٦ نوفمبر ١٨٦٩ أوجيني إمبراطورة فرنسا، وفرانسوا جوزيف امبراطور النمسا، وملك المجر، والامير فرديريك ويلهلم ولي عهد بروسيا، والأمير هنرى شقيق ملك هولندا وقرينته، والسير هنري اليوت سفير انجلترا بالأستانة وعقيلته، والجنرال اجناتيف سفير روسيا فى الأستانة وعقيلته، ومسيو فرديناند ديليسبس، والأمير عبد القادر الجزائرى، والكونت اندراسي من وزراء النمسا، والبارون بروكتش سفير النمسا فى الأستانة وغيرهم من الضيوف الاجانب إلى جانب كبار الشخصيات البارزين من المصريين.

٣ـ خلع إسماعيل

١٣ـ كان من بين الأبواب التى أنفق فيها إسماعيل ملايين الجنيهات دون فائدة تعود على مصر استرضاء الباب العالى فى تركيا (السلطان عبد العزيز فى ذلك الوقت) لتغيير نظام توارث العرش وجعله لابنه توفيق بدلا من أخيه مصطفى فاضل الذى كان مفروضا أن يرث الحكم باعتباره أكبر أفراد الأسرة سنا كما جرى الوضع منذ محمد على، وقد أنفق إسماعيل على هذا المطلب وحده أكثر من ثلاثة ملايين جنيه، ثم عاد واستجدى السلطان عبد العزيز وقدم إليه المزيد من الهدايا والمنح ومضاعفة الجزية السنوية التى تدفع لتركيا (من ٤٠٠ ألف إلى ٧٥٠ ألف جنيه) لمنحه لقب (خديو) وهو لقب أعلى من باشا ومن والٍ ولم يسبق أن حصل عليه أحد الولاة واشتهر به إسماعيل.

وقد وصل تأثير إسماعيل على السلطان عبد العزيز سلطان الآستانة فى ذلك الوقت إلى جعله يقبل دعوته لزيارة مصر فى أبريل عام ١٨٦٣ حيث أمضى عشرة أيام فى ضيافة إسماعيل عاد السلطان بعدها محملا بالهدايا والتحف الفاخرة التى فتحت الطريق أمام إسماعيل لنيل رغباته.

١٤ـ استجاب السلطان لمطالب إسماعيل التى قبض ثمنها، كما استجاب أيضا لضغوط الدول الأجنبية لخلع إسماعيل عن العرش بعد أن استنفدوا أغراضهم منه وأصبح بسبب كثرة القروض التى استدانها عاجزا عن الحكم مما اقتضى من الخديو إسماعيل استجابة لضغوط الدول إصدار مرسوم فى ٢ مايو ١٨٧٦ بإنشاء ما أطلق عليه صندوق الدين يتولى إدارته مندوبون أجانب ظلوا يمارسون مهمتهم على امتداد ٦١ سنة إلى أن تم إلغاء الصندوق فى عام ١٩٣٧.

١٥ـ كانت مهمة صندوق الدين أن يكون خزانة خاصة تصب فيه مباشرة بعيدا عن الخزينة العامة للدولة موارد المرافق والمديريات والإدارات التى خصصها إسماعيل ورهنها لسداد القروض ومنها إيرادات السكة الحديد وجمارك

الإسكندرية ورسوم الدخان والملح والكبارى وعوائد الملاحة فى النيل وإيرادات الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط والسويس وبورسعيد ورشيد ودمياط والعريش وإيرادات الأطيان التى يملكها إسماعيل، وكان قد باع قبل ذلك وبأبخس الأسعار أسهم قناة السويس التى اكتتب بها سعيد فى بداية تكوين الشركة (١٧٨ ألف سهم).

١٦- لم يكتف الأجانب بتشكيل صندوق الدين بل طلبوا إنشاء تشكيل وزارى لإدارة شئون الحكم تضم وزيرين من الأجانب أحدهما إنجليزى ويتولى الشئون المالية، والثانى فرنسى ويختص بالأشغال. وبالفعل شكلت أول وزارة (كان يطلق عليها نظارة) عرفتها مصر ورأسها نوبار باشا.

١٧- تحقق ما كانت تخطط له إنجلترا ووقعت مصر اقتصاديا تحت سيطرة الدول الأجنبية وكانت الخطوة التالية استصدار فرمان خلعه من السلطان عبد العزيز الذى أنعم عليه بلقب الخديو وورث الحكم لابنه توفيق، وأبلغ الخديو بقرار خلعه يوم ٢٦ يونيو ١٨٧٩ وأبلغ توفيق بقرار توليه العرش، وذهب توفيق إلى أبيه فى سراى الإسماعيلية ودخل عليه وحده وما أن رأى إسماعيل ابنه حتى وقف وقال له بقلب منكسر: أفندينا..! وكان ذلك اعترافا من إسماعيل لتوفيق ابنه بأنه أصبح الخديو الجديد.

وبعد ثلاثة أيام حملت الباخرة (المحروسة) إسماعيل إلى منفاه فى نابولى بإيطاليا، وبعد ٧٣ سنة حملت نفس الباخرة حفيده فاروق إلى منفاه فى إيطاليا بعد أن خلعه الشعب.

٤ـ ثورة عرابى

١٨ـ كان من بين الشروط التى فرضتها الدول الأجنبية على محمد على باشا بعد أن أرغمته على الانسحاب من الدول التى فتحها إنقاص حجم الجيش المصرى إلى ١٨ ألف فرد (كان تعداد السكان فى مصر فى ذلك الوقت ٦ ملايين) فقد أزعج الأجانب توسع محمد على فى نظام التجنيد الإجبارى الذى فرضه لأول مرة على المصريين ومنحه الفرص أمامهم ليصبحوا ضباطا فى الوقت الذى كان معظم ضباط الجيش المصرى من أصول تركية وشركسية جاءت مع المماليك. وعندما تولى سعيد باشا الحكم انحاز إلى الضباط المصريين وعمل على سرعة ترقية الكثيرين منهم ومن بينهم مصرى دخل الجيش عن طريق التجنيد اسمه أحمد عرابى.

١٩ـ ولد أحمد عرابى فى قرية هرية رزنة بالشرقية عام ١٨٤١ وقد تلقى العلم فى الأزهر دون أن يستكمله ولإجادته القراءة والكتابة فقد تمت ترقيته من نفر عادى إلى ملازم عام ١٨٥٨ وهو فى سن السابعة عشرة، وفى السنة التالية رقى إلى يوزباشى، ثم فى السنة التى بعدها رقى مرتين إلى بكباشى وقائمقام.

وقد ساعد على بروز أحمد عرابى وترقياته السريعة فى عهد سعيد مظهره فقد كان يتميز بقامة طويلة وهامة مرفوعة وصوت جهورى ونطق سليم وحسن أداء لأفكاره وقدرة على الإقناع.

٢٠ـ تغير الوضع عندما تولى إسماعيل الذى انحاز إلى الضباط الشراكسة، وبسبب خلاف مع أحد هؤلاء الضباط تم فصل عرابى من الجيش إلا أن إحدى قريباته توسطت له عند الخديو فعفا عنه وأعاده إلى الجيش بنفس رتبته (قائمقام) التى ظل فيها بلا ترقية ١٩ سنة فى الوقت الذى تفوق عليه وعلى زملائه المصريين صغار الضباط من أصل شركسى مما أثار غضبه وجعله يحرض الضباط المصريين على الاتحاد.

٢١ـ تولى توفيق الحكم عام ١٨٧٩ وفى السنة نفسها رقى أحمد عرابى إلى رتبة

أميرالاى، إلا أن وزير الحربية عثمان رفقى باشا الذى عينه توفيق وهو من أصل شركسى حارب الضباط المصريين وأصدر حركة تنقلات استهدفت تشتيت كبارهم. وعندما احتج عرابى وعدد من زملائه على ذلك قبض عليهم وقدموا للمحاكمة.

إلا أن الضباط المصريين الآخرين جمعوا عددا كبيرا من الجنود واقتحموا ثكنات قصر النيل حيث كان عرابى وزملاؤه محبوسين وخرج معهم عرابى إلى ساحة قصر عابدين حيث مقر الخديو يوم الجمعة ٩ سبتمبر ١٨٨١.

٢٢ـ ظن الخديو توفيق أن مواجهته لعرابى وجنوده سوف يخيفهم، وكان المراقب المالى الإنجليزى وزميله الفرنسى قد نصحاه بإطلاق النار على عرابى عند مواجهته له، ولكن الخديو رأى أن تتم عملية قتل عرابى على يد قائد حرسه على فهمى الذى أتفق معه على توزيع جنوده على نوافذ القصر. فلما حضر عرابى على رأس جنوده مؤيدا بالجماهير التى ملأت ساحة القصر فوجئ الخديو بانسحاب حرسه من مواقعهم بقيادة على فهمى وانضمامهم جميعا إلى جنود عرابى. وأسقط فى يد الخديو الذى لم يجد فى نفسه الشجاعة لتنفيذ اغتيال عرابى كما نصحه المستشار المالى الإنجليزى سير اوكلاند كلفن الذى كان واقفا إلى جانبه.

نزل عرابى من فوق جواده واتجه إلى الخديو ومن حوله نحو ٥٠ ضابطا يحرسونه وبعد أن أصبح على مقربة من الخديو حياه التحية العسكرية وقال له إنه وزملاءه جاءوا يطلبون من الخديو عزل الوزارة التى بينها عثمان رفقى، وتشكيل مجلس للنواب يمثل الشعب، وزيادة عدد أفراد الجيش. وقال الخديو لعرابى: هذه طلبات لاحق لكم فيها «وأنا خديو البلد أعمل زى ما أنا عاوز». قال له أحمد عرابى عبارته التى أشعلت حماس كل المصريين: ونحن لسنا عبيدا ولن نورث بعد اليوم.

٥ ـ توفيق والإنجليز

٢٣ـ تناقل المصريون مادار بين عرابى والخديو توفيق فى ساحة قصر عابدين يوم الجمعة ٩ سبتمبر ١٨٨١ فأصبح موقف عرابى حديث المصريين وتأييدهم وإعجابهم، ولم تكن هناك فى ذلك الوقت وسيلة لمعرفة الأخبار غير تناقلها بالكلام، ففى ذلك العام ـ ١٨٨١ ـ بدأت خدمة التليفونات فى مصر لأول مرة بإنشاء سنترال الإسكندرية، وفى سنة ١٨٨٣ تأسست شركة التليفونات المصرية وبدأ نشاطها فى القاهرة، أما التلغراف فكانت خدمته قد دخلت مصر عام ١٨٥٤ مع السكة الحديد.

٢٤ـ أذعن الخديو توفيق أمام تأييد الشعب لمطالب عرابى وجنوده فعهد إلى محمود سامى البارودى تشكيل وزارة وطنية خلت من الوزيرين الإنجليزى والفرنسى اللذين كانا فى الوزارة السابقة، وأصبح أحمد عرابى وزيرا للحربية يحمل لقب باشا، وتم إنشاء مجلس للنواب من ٧٥ عضوا تولى انتخابهم عمد البلاد ومشايخها وبدأ المجلس نشاطه بالإعلان عن حقه منفردا فى إقرار ميزانية البلاد بصرف النظر عن ملاحظات ممثلى إنجلترا وفرنسا. وهكذا بدا أن «ثورة عرابى» قد حققت مكاسب بالغة الأهمية.

٢٥ـ لم يستمر الأمر طويلا، ففى أبريل ١٨٨٢ تم كشف مؤامرة لقتل أحمد عرابى وعددٍ من زملائه، وتبين أن وراءها عثمان رفقى باشا وزير الحربية السابق وعدو عرابى الأول و٤٠ من الضباط الشراكسة شكلت محكمة لمحاكمتهم فأصدرت حكمها بنفيهم إلى أقاصى السودان مع تجريدهم من رتبهم.

٢٦ـ رفض الخديو التصديق على الحكم ولجأ إلى قنصلى إنجلترا وفرنسا فأيداه فى رفضه.. وانفعل محمود سامى البارودى على الخديو وهو يعاتبه على هذا التصرف فقرر الخديو إقالته.. لكن مجلس النواب انحاز إلى جانب البارودى وطلب أعضاؤه عقد اجتماع عاجل، وعندما رفض الخديو دعوتهم عقدوا اجتماعا فى منزل رئيسهم وأعلنوا تأييدهم للبارودى.

٢٧- انتهت الأزمة شكلا بالاكتفاء بإخراج عثمان رفقى ومجموعة الضباط الذين أشركهم فى المؤامرة من البلاد دون تحديد مكان إبعادهم، فسافروا جميعا إلى تركيا حيث أقاموا هناك.

٢٨- عز على الخديو توفيق أن يستجيب لمطالب عرابى والشعب ولم يتصور أن انحيازه إلى الشعب يعطيه قوة ضخمة، فراح يخطط للاستعانة بقوى أخرى كانت جاهزة وعلى استعداد.. فبعد أسابيع فوجئ الشعب بالموافقة لطلب من الحكومتين الإنجليزية والفرنسية بوصول قطع من أسطوليهما إلى الإسكندرية «فى زيارة ودية».

وبدأ وصول البوارج والمدمرات يوم الجمعة ١٩ مايو ١٨٨٢، وبعد أسبوع من وصولها طلبت إنجلترا استقالة وزارة البارودى وإخراج أحمد عرابى من مصر. وقبل الخديو المطالب فاستقال البارودى احتجاجا يوم ٢٦ مايو ١٨٨٢، وبدأ تنفيذ مؤامرة احتلال إنجلترا لمصر.

٦ ـ الاحتلال البريطانى

٢٩ـ أعقبت استقالة محمود سامى البارودى احتجاجا على قبول الخديو توفيق طلبات إنجلترا وفرنسا مواقف وطنية واضحة.. لم يجد الخديو من يقبل تولى الوزارة بدلا من البارودى، وثار الجيش غضبا على إبعاد عرابى باشا.. وقرر الخديو أن يتولى بنفسه سلطة الحكم مؤقتا مع قبوله إعادة عرابى باشا إلى وزارة الحربية ورئاسة الجيش وبقاء الوزارات الأخرى خالية.

وقد ظل الأمر كذلك ثلاثة أسابيع إلى أن تولى إسماعيل باشا راغب رئاسة الوزارة فى ٢٠ يونيو ١٨٨٢ ولكن بعد أن جدت خلال ذلك أحداث خطيرة.

٣٠ـ فى صباح الأحد ١١ يونيو (١٨٨٢) استأجر أحد المالطيين فى مدينة الإسكندرية حمارا من صاحبه «سيد العجان»، وراح المالطى يطوف بالحمار الذى يركبه طوال النهار عندما انتهت جولته أمام «خمارة» قريبة من مخفر (شرطة) اللبان.. وعندما طالبه صاحب الحمار بأجرته دفع له قرشا واحدا. فجادله سيد العجان فى المبلغ فما كان من المالطى إلا أن أخرج سكينا طعنه بها عدة طعنات مات على إثرها سيد العجان. انتشر الخبر سريعا وهرب المالطى إلى أحد المنازل فتصدى المالطيون واليونانيون الذين يسكنون قريبا لحمايته، بينما ثارت غضبة المواطنين وشهدت الإسكندرية قتالا بين طرفين : المصريون الوطنيون فى جانب والمالطيون والأجانب فى جانب، وانتهت المعركة بسقوط عدد كبير من القتلى بلغ فى أقل التقديرات أكثر من مائة قتيل معظمهم من الأهالى عدا أعداد كبيرة من الجرحى.

٣١ـ جرت محاولات لإخماد نيران مذبحة الإسكندرية وتشكيل لجان للتحقيق ولكن الأميرال سيمور قائد الأسطول البريطانى الذى وصل إلى الإسكندرية «فى زيارة ودية» حسم الموضوع وتحجج برؤيته تحصينات فى الطوابى الموجودة فى الإسكندرية (المواقع الحصينة التى تدافع عن الاسكندرية) فوجه إنذارا إلى الطوابى

بتسليم ما عليها من مدافع خلال ٢٤ ساعة وإلا قام الأسطول بضرب الإسكندرية. دعا الخديو كبار المسئولين لاستشارتهم فرفضوا الإنذار، وفى اليوم التالى بدأت بريطانيا تنفيذ الخطوة الأخيرة من مؤامرتها لاحتلال مصر.

٣٢- فى الساعة السابعة من صباح الثلاثاء ١١ يوليو (١٨٨٢) بدأ الأسطول البريطانى قصف مدينة الاسكندرية. وأعقب ذلك نزول القوات الإنجليزية.. وفى خلال الفترة من يوليو إلى سبتمبر وكان الإنجليز قد تتابع وصول إمداداتهم جرت معارك بين القوات المصرية بقيادة عرابى والقوات الإنجليزية انتهت باستيلاء الإنجليز على القاهرة ونفى أحمد عرابى وعدد من قادة الجيش إلى جزيرة سيلان (سيريلانكا حاليا).

٣٣- تحقق لإنجلترا هدفها.. واحتلت وحدها مصر. وكان من أول الإجراءات التى اتخذتها إعادة تشكيل الجيش المصرى ووضعه تحت إشراف ممثلين إنجليز وتعيين مستشارين بريطانيين فى مختلف الوزارات مع ضرورة رجوع الحكومة المصرية فى كل مسألة حيوية إلى المندوب السامى البريطانى لتمييزه عن باقى ممثلى الدول الأخرى باعتبار أنه أصبح الحاكم الحقيقى للبلاد!

٧- إلغاء الجيش المصرى

٣٤- كانت خطة الإنجليز فى احتلال مصر تقوم على أساس غزوها من الغرب من الإسكندرية وصولا إلى الدلتا، ومن الشرق عن طريق قناة السويس ومنها إلى الشرقية والقاهرة.. وبذلك لعبت القناة دورا جديدا فى احتلال مصر بعد دورها فى خراب خزينة مصر..

٣٥- انتعش الخديو توفيق بوصول الإنجليز وكان قد سافر إلى الإسكندرية منذ وصول أسطولهم إلى هناك حيث ظل مقيما فى قصر رأس التين ولم يعد إلى القاهرة إلا بعد احتلال الإنجليز لها، وكان أول ما فعله الإنجليز أن أقاموا استعراضا لقواتهم فى ساحة قصر عابدين يوم ٣٠ سبتمبر ١٨٨٢، وكأنهم أرادوا ألا يمر شهر سبتمبر إلا ويشهد الخديو قوة جديدة يعتمد عليها بدلا من الجيش الوطنى الذى تظاهر ضده بقيادة عرابى فى نفس الساحة فى نفس الشهر قبل عام!

٣٦- لم يضع الإنجليز والخديو الوقت فقد تم اعتقال زعماء الثورة العرابية وعلى رأسهم أحمد عرابى ومحمود سامى البارودى وكل من اتصل بهم أو شارك فى حركتهم الوطنية حتى بلغ عدد المقبوض عليهم نحو ٣٠ ألفا. وصدر الحكم بإعدام السبعة الكبار وفى مقدمتهم عرابى والبارودى، وبعد ذلك خفف الحكم إلى النفى المؤبد، كما صدرت مئات الأحكام بسجن العديد من العسكريين وتجريدهم من رتبهم. ونفى عرابى إلى جزيرة سيلان (سيريلانكا) حيث بقى هناك ١٩ سنة عاد بعدها إلى القاهرة عام ١٩٠١ وبعد عشر سنوات فى سبتمبر ١٩١١ مات عن ٧٠ سنة.

٣٧- فى ١٩ سبتمبر ١٨٨٢ وقبل أن يعود الخديو توفيق من مقر إقامته فى الإسكندرية إلى القاهرة أصدر مرسوما خديويا «بإلغاء الجيش المصرى»(!).. وبمقتضى هذا المرسوم تم تسريح جميع الجنود والضباط وإعادتهم إلى قراهم ومدنهم باستثناء الذين قبض عليهم وقدموا للمحاكمة وقضى بسجنهم.. وعهد

الخديو إلى ضابط إنجليزى بإعادة إنشاء جيش مصرى جديد تم تقليص عدد أفراده إلى ثلاثة آلاف فرد.. ووضع القائد الإنجليزى نظاما جديدا اسمه البدل النقدى أو (البدلية) كما كان يطلق عليه عامة الشعب يقضى بأن يدفع من يريد الإعفاء من التجنيد بدلا نقديا مما جعل التجنيد تكليفا مقصورا على الطبقة الفقيرة الأمية. وعين الإنجليز قائداً عاماً للجيش أطلقوا عليه اسم (السردار) وقائدا آخر للبوليس أسموه (القومندان العام) ومستشارا إنجليزيا فى كل وزارة، ومحاكم خاصة لمحاكمة الأجانب، وأغلق الإنجليز تسع مدارس حربية من عشر كانت تستقبل سنويا أكثر من ١٠٠٠ طالب، كما أغلقوا الترسانة البحرية بالإسكندرية وكل مصانع المدافع والذخيرة التى أقامها محمد على..!!

٨ـ مصطفى كامل

٣٨ـ احتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢ بحجة إعادة سلطة الخديو محمد توفيق، وقمع ثورة الجيش المصرى بقيادة عرابى، ثم الجلاء عن البلاد على الفور إلا أن على الفور هذه استغرقت ٧٢ سنة!

امتدت يد الإنجليز إلى تغيير نظام التعليم الذى كان مجانيا فى ذلك الوقت فى مراحله الثلاث الابتدائى والثانوى والعالى، فألغى الاحتلال المجانية وأوقف إنشاء المدارس وأغلق عددا منها، وقرر جعل تعليم العلوم باللغة الانجليزية على يد مدرسين إنجليز.

٣٩ـ أنهى توفيق مهمته بالنسبة لمصر على أسوأ ما يكون وفى ٧ يناير ١٨٩٢ مات عن ٧٠ سنة وخلفه فى اليوم التالى ابنه عباس حلمى الثانى قبل أن يبلغ سن الثامنة عشرة وتم حساب بلوغه بالسنوات الهجرية وقد سعى عند بداية توليه انتزاع بعض الصلاحيات من الإنجليز باعتباره الحاكم الشرعي ولكن الإنجليز أوقفوه عند حده. وفى عصر عباس الثانى شهدت مصر انقلابا فى وسائل المواصلات التى كانت تعتمد على الدواب من حمير وجمال، إذ بدأ فى صيف عام ١٨٩٦ تسيير عربات الترام، كما شهدت القاهرة فى نفس العام ترقيم المنازل لتسهيل عملية تعداد السكان التى تقرر إجراؤها وقد بلغ عددهم ٩,٧ مليون كانوا يمثلون فى ذلك الوقت ربع سكان الدول العربية الذين يبلغون ٣٦ مليونا.

٤٠ـ كان من الطبيعى أن تتأثر معنويات الأمة وتصاب بالإحباط وهى تشهد انهيار إنجازاتها وسيطرة الاحتلال والأجانب.. وفى هذا المناخ المحبط ظهر شاب ما إن انهى دراسة الحقوق فى فرنسا عام ١٨٩٤ حتى قرر تجنيد نفسه وهو فى سن العشرين للدفاع عن قضية بلاده والتنديد بالاحتلال الانجليزى من خلال الوسائل البسيطة المتاحة فى ذلك من خطب يثير بها حماس المصريين ويبدد يأسهم، وخطابات يبعث بها إلى الخارج لكسب تأييد الأجانب خاصة بعد حادث قرية

دنشواى (فى المنوفية) التي قصدها يوم ١٣ يونيو ١٩٠٦ خمسة ضباط إنجليز لصيد الحمام أخطأ أحدهم وأصاب امرأة فطارده الأهالى ورد زملاؤه بإطلاق النار وأصابوا شيخ الخفر فزادت ثورة الأهالى وتمكنوا من الإمساك بهم وضربهم، وقد شن الإنجليز حملة على القرية وحوكم ٢١ لتطاولهم على سادتهم الإنجليز تم إعدام أربعة منهم وسجن وجلد ١٧ آخرين.

٤١- بدأ مصطفى كامل كفاحه فى سن صغيرة قال هو عنها فى رسالة بعث بها إلى مدام جولييت آدم التى كانت ترعاه فى باريس (تاريخ الرسالة ١٨٩٥/٩/١٢) وكانت سنه في ذلك الوقت ٢١ سنة. قال مصطفى كامل فى رسالته: إنى لا أزال صغيرا ولكن لى آمالا كبارا. فإنى أريد أن أوقظ مصر الفتاة. هم يقولون إن وطنى لا وجود له وأنا أقول إنه موجود وأشعر بوجوده بما أنس له فى نفسى من الحب الشديد الذى سوف يتغلب على كل حب سواه، وسأجود فى سبيله بجميع قواى، وأفديه بشبابى، وأجعل حياتى وقفا عليه.

وفى عام ١٩٠٧ أسس مصطفى كامل (الحزب الوطنى) ولكن القدر لم يمهله، ففى العام التالى ١٩٠٨ مات متأثرا بالمرض عن ٣٤ عاما. وخلفه فى رياسة الحزب رفيقه فى كفاحه محمد فريد الذى اضطر بعد أن لاحقه الاحتلال الإنجليزى بالتحقيقات والمحاكمات أن يعيش متنقلا بين العواصم الأوروبية داعيا لقضية بلاده مضحيا من أجلها بكل ممتلكاته إلى أن مات عام ١٩١٩ وهى السنة التى انفجر فيها بركان الشعب وثورته.

٩ـ الحرب العالمية الأولى

٤٢ـ فى ٢٨ يونيو ١٩١٤ قتل مواطن من الصرب فرانسيز فيرديناند ولى عهد النمسا أثناء زيارته مدينة سيراييفو. بعد شهر أعلنت النمسا الحرب على الصرب، فهبت روسيا لنجدة الصرب وأعلنت الحرب على النمسا. انحازت ألمانيا إلى جانب النمسا وانحازت فرنسا إلى جانب روسيا. وفى خلال أسابيع اتسع النزاع ليشمل ٣٢ دولة اتحدت ٢٨ منها فى تحالف كان على رأس من ضمتهم بريطانيا وفرنسا وبلجيكا والصرب وروسيا وإيطاليا والولايات المتحدة، بينما تجمعت على الجانب الآخر ٤ دول هى ألمانيا والنمسا والمجر وتركيا (الدولة العثمانية)، وقد استمرت الحرب بينهما حتى نوفمبر ١٩١٨، وقدر أن عدد الذين اشتركوا فيها بلغ ٦٥ مليون جندى قتل منهم ١٠ ملايين وجرح ضعفهم.

٤٣ـ فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ انتهزت انجلترا فرصة انضمام تركيا إلى جانب أعدائها فى دول المحور فأعلنت فصل مصر التى كانت جزءًا من الامبراطورية العثمانية شكلا عن هذه الامبراطورية وفرض الحماية البريطانية عليها. ولما كان الخديو عباس الثانى يزور استامبول ولم تكن السلطات الإنجليزية تستريح إليه فقد اعتبرته من الأعداء وأعلنت عزله وتولية الأمير حسين كامل أكبر أمراء سلالة محمد على سنا وأعطته لقب سلطان مصر وهو نفس اللقب الذى يحمله حاكم الدولة العثمانية وكأن الإنجليز أرادوا مساواة رأس حاكم مصر برأس السلطان التركى الذى كان يعينه من قبل.

٤٤ـ لم يخف الشعب سخطه على قبول السلطان حسين كامل الحكم بقرار إنجليزى، وتمثل هذا السخط فى محاولة اغتيال السلطان حسين مرتين، الأولى: بالقاهرة يوم الخميس ٨ أبريل ١٩١٥ عندما أطلق عليه شاب يدعى محمد خليل (تاجر خردوات من المنصورة) عيارا ناريا أثناء مرور موكبه بشارع عابدين فأخطأ السلطان وأصاب العربة التى كانت تقله. وقد نفذ حكم الإعدام فى الشاب يوم ٢٤

من نفس الشهر بعد ١٦ يوما. وبعد نحو شهرين على هذا الحادث وقع اعتداء آخر على السلطان يوم الجمعة ٩ يوليو ١٩١٥، بينما كان يسير بموكبه بالإسكندرية قبيل ظهر ذلك اليوم من مقر رأس التين إلى مسجد سيدى عبد الرحمن لأداء فريضة الجمعة عندما ألقيت عليه قنبلة من نافذة أحد المنازل المطلة على شارع رأس التين فسقطت القنبلة على ظهر جواد من جوادى المركبة السلطانية ثم تدحرجت على الأرض ولم تنفجر. واتهم تسعة شبان بتدبير الحادث، أدين منهم اثنان هما محمد نجيب الهلباوى ومحمد شمس الدين، وقضى المجلس البريطانى الذى حاكمهما بالإعدام شنقا ولكن السلطان خفف الحكم إلى السجن المؤبد.

ولم تدم فترة تولى السلطان حسين الحكم سوى أقل من ثلاث سنوات، ومات عن عمر ٦٤ سنة. ولما كان له ابن وحيد هو الأمير كمال الدين حسين، وكان يعيش فى فرنسا فقد أرسل إليه أبوه يطلب إليه العودة لتسلم مقاليد الحكم ورد عليه الابن بخطاب قال فيه: يا صاحب السلطانية.. ذكرتمونى عظمتكم بما اتفقتم عليه مع الحكومة البريطانية الحامية وقت ارتقاء عظمتكم عرش السلطنة المصرية من تأجيل وضع نظام وراثة العرش السلطانى إلى ما بعد بحثه. وقد تفضلتم عظمتكم فأعربتم عن رغبتكم فى أن تكون وراثة عرش السلطنة منحصرة فى الأكبر من الأبناء ثم بعده لأكبر أبنائه، وهكذا على هذا الترتيب. وإنى لأذكر لعظمتكم هذه المنة الكبرى لما فى هذه الرغبة من التشريف لى. على أنى مع إخلاصى التام لشخصكم الكريم وحكمكم الجليل، مقتنع كل الاقتناع بأن بقائى على حالتى الآن يمكننى من خدمة بلادى بأكثر مما يمكن أن أخدمها فى حالة أخرى. لذا أرجو من حسن تعاطفكم أن تأذنوا لى أن أتنازل عن كل حق أو صفة أو دعوى كان من الممكن لى أن أتمسك به فى إرث عرش السلطنة المصرية بصفتى ابنكم الوحيد. وإنى بهذه الصفة أقرر الآن بتنازلى عن جميع ذلك. وإننى لا أزال لعظمتكم السلطانية النجل المخلص والعبد الكثير الاحترام. كمال الدين حسين. القاهرة فى ٨ أكتوبر ١٩١٧.

ونتيجة لهذا التنازل اختار الإنجليز أحمد فؤاد ابن إسماعيل وكان أكبر الموجودين من أسرة محمد على لتولى عرش مصر.

وقد كانت لفؤاد حكاية شهيرة مع زوجته الأولى شويكار حفيدة إبراهيم باشا وهى التى تم تحويل قصرها إلى مقر رئاسة مجلس الوزراء حاليا، فقد قيل إنه كان

يسىء معاملتها، وأنها شكت إلى أخيها الأمير أحمد سيف الدين ما يفعله فؤاد، فما كان من الأمير أحمد سيف إلا أن ذهب إلى النادى الذى كان يسهر فيه فؤاد وأطلق عليه الرصاص بقصد اغتياله ولكنه أصيب فقط. وقيل إن الإصابة أثرت على حنجرته وصوته. ولكن كريم ثابت المستشار الصحفي للملك فاروق خصص في كتابه (عشر سنوات مع فاروق) فصلا عن «كحة» الملك فؤاد، وقال إنها ولدت معه وزادت فى أعقاب حادث إطلاق النار عليه. وكان هذا الصوت الغريب الذى يصدر عنه يفلت منه كلما تكلم مهما اجتهد فى حبسه ومهما جاهد فى سبيل منع انطلاقه، وقد لوحظ أن هذا الصوت كان يشتد وتقصر فترات انقطاعه إذا كان الملك غاضبا أو متعبا أو متوتر الأعصاب لسبب ما، فتتكاثر الطلقات وتتلاحق ويخيل إلى من يسمعها ولايرى مصدرها أنها نوع غريب من النباح المتقطع!

١٠ـ سعد زغلول

٤٥ـ فرض الإنجليز الأحكام العرفية لأول مرة على مصر فور إعلان الحرب، وكان من مظاهر هذه الأحكام العرفية استيلاء السلطات البريطانية على جميع وسائل النقل المستخدمة فى ذلك الوقت من دواب، فلم تترك هذه السلطات جملا أو حمارا أو بغلا صالحا للعمل إلا واستولت عليه بأبخس الأثمان. ونتيجة لحالة الحرب تدفقت على مصر القوات من أنحاء الامبراطورية بعد أن اتخذت من مصر قاعدة للحلفاء. وعبأت كل موارد مصر لخدمة بريطانيا فى هذه الحرب، ومد قوات الحلفاء بحاجتهم من المواد التموينية. الأمر الذى تطلب وضع شبكة المواصلات فى مصر في خدمتهم. وتابع عدد كبير من المصريين أخبار الحملة التى أرسلتها الدولة العثمانية إلى مصر لمحاربة الإنجليز عام ١٩١٦، وكان أملهم أن يتحقق فوز هذه الحملة العثمانية لتحرير مصر من الإنجليز، ولكن الحملة التركية العثمانية منيت بالهزيمة.

٤٦ـ فى يوليو ١٩١٣ أصدر الخديو عباس حلمى الثانى قانونا جديدا يهدف إلى تمثيل الأمة فى مجلس أطلق عليه الجمعية التشريعية تؤلف من أعضاء معينين (١٧ عضوا) وأعضاء منتخبين (٦٦ عضوا)، ويتم تعيين رئيس ووكيل للجمعية وانتخاب وكيل ثان من الأعضاء المنتخبين. ومدة عضوية الجمعية ٦ سنوات. وقد جرت انتخابات أعضاء هذه الجمعية فى ديسمبر ١٩١٣ ومن بين الذين حققوا نجاحا كبيرا فى هذه الانتخابات سعد زغلول الذى رشح نفسه فى قسمى السيدة زينب وبولاق، وكانت القاهرة كلها يمثلها فى الجمعية أربعة أعضاء منتخبين.

إلا أنه تحت دعوى الحرب عطل الإنجليز اجتماعات هذه الجمعية بعد أن انتخبت سعد زغلول وكيلا لها.

كان سعد من مواليد عام ١٩٥٧ بقرية أبيانه وكانت تتبع فى ذلك الوقت محافظة الغربية ثم أصبحت تتبع محافظة كفر الشيخ وقد بدأت شهرته بعد دراسة القانون

فى فرنسا وعمله بالمحاماة والقضاء. وفى عام ١٩٠٧ عين وزيرا للمعارف فاشتهر بتمصير التعليم والحد من سلطان المستشار الإنجليزى الموجود فى الوزارة، وبعد ذلك تولى وزارة الحقانية (العدل) إلى أن رشح نفسه للجمعية التشريعية عن دائرة السيدة زينب فنجح باكتساح لماضيه وقدرته الخطابية وتأثيره على سامعيه.

٤٧- ما إن أشرفت الحرب على نهايتها حتى قرر سعد زغلول مع زميليه فى الجمعية التشريعية عبد العزيز فهمى وعلى شعراوى السفر إلى لندن لمفاوضة الحكومة الإنجليزية فى الجلاء عن مصر. وذهب الثلاثة يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ إلى المندوب السامى البريطانى طالبين تحديد موعد استقبالهم فى لندن، فماطلهم المندوب السامى وأبلغ رئيس الوزراء فى ذلك الوقت حسين باشا شكرى والذى كان يؤيد سعد وسفره «أنه يعجب من أن يتحدث ثلاثة رجال عن أمة بأسرها دون أن يكون لديهم ما يخولهم صفة التحدث باسمها»

٤٨- ما أن تناقل المصريون - ولم تكن هناك وسيلة للمعرفة فى ذلك الوقت سوى الاتصالات المباشرة - ما قاله المندوب السامى حتى سارعوا إلى جمع ملايين التوقيعات على توكيل يمنح سعد زغلول وصحبه التحدث نيابة عن الأمة من أجل تحقيق استقلال مصر. وكانت صيغة التوكيل: نحن الموقعين على هذا قد أنبنا عنا حضرات سعد زغلول باشا وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك ومحمد على بك وعبد اللطيف المكباتى بك ومحمد محمود باشا وأحمد لطفى السيد بك، ولهم أن يضموا إليهم من يختارون، فى أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعى سبيلا فى استقلال مصر استقلالا تاما.

٤٩- رفضت لندن منح سعد وصحبه تراخيص السفر إلى العاصمة الإنجليزية، فقرر سعد تحديهم والسفر إلى باريس للقاء ممثلى الدول الأوروبية الذين جرت دعوتهم لحضور مؤتمر للصلح بعد انتهاء الحرب، وإسماعهم صوت مصر وشرح قضيتها.

٥٠- قبضت السلطات البريطانية على سعد وثلاثة من زملائه هم محمد محمود باشا وإسماعيل صدقى باشا وحمد الباسل باشا ونفتهم إلى جزيرة مالطة إحدى الجزر التابعة لبريطانيا.

وكان ذلك يوم ٨ مارس ١٩١٩.. وما أن بلغ المواطنين الخبرحتى انفجر بركان الثورة.. ثورة شعب مصر.

١١ـ ثورة الشعب

٥١ـ كانت البداية بسيطة.. ففى صباح يوم الأحد ٩ مارس ١٩١٩ ـ اليوم التالى للقبض على سعد زغلول وصحبه وقرار السلطات الإنجليزية نفى هذا الوفد إلى مالطة بدلا من سفره إلى أوروبا ـ خرج طلبة مدرسة الحقوق فى مظاهرة انضم إليها طلبة المدارس القريبة وعلى لسانهم هتاف: الاستقلال التام.

وفى اليومين التاليين شملت المظاهرات جميع طلبة المدارس والأزهر وانضم إليهم عدد من التجار الذين أغلقوا محالهم.. ورد القائد العام العسكرى الإنجليزى بإعلان منع المظاهرات وإطلاق النار على أية مظاهرات تخالف الأمر استنادا إلى الأحكام العرفية السارية.

وجاء الرد فى اليوم الخامس بالغ الغرابة، عندما خرجت لأول مرة فى تاريخ مصر مظاهرة ضخمة تضم فتيات ونساء مصر.. والتهب الشارع المصرى.. فلم تستثن فئة نفسها من المشاركة فى هذه المظاهرات التى تحولت فى جانب منها إلى إضراب شل الحياة فى كل مصر وامتد إلى كل الأقاليم رغم حوادث إطلاق النار على المتظاهرين وتزايد أعداد الشهداء والجرحى.. وتوقفت وسائل المواصلات والبريد والسكك الحديدية، بينما سيل المظاهرات يتدفق حاملين علما جديدا لم تعرفه مصر من قبل عبارة عن أرضية خضراء يتوسطها هلال يعانق الصليب تعبيرا عن وحدة الأمة مسلمين وأقباط فى مواجهة المحتل..

وبعد شهر كامل لم تتوقف فيه المظاهرات يوما واحدا أعلن الإنجليز الإفراج عن سعد والوفد المرافق له والسماح لهم بالسفر، كما قررت الخارجية البريطانية إرسال سفير جديد لها إلى مصر بدلا من لورد وينجت الذى هزمته مظاهرات المصريين وأثبتت فشله. كذلك قررت لندن تهدئة للمشاعر المشتعلة إيفاد لجنة إلى مصر برياسة وزير المستعمرات اللورد ملنر وقد أمضت ١٣ شهرا لبحث كيف ولماذا ثار هذا الشعب ثورته الغريبة التى زلزلت كيان الإمبراطورية.

٥٢- سافر الوفد برياسة سعد زغلول إلى باريس للقاء ممثلى الدول الأوروبية بأمل مساعدتهم ولكنهم خذلوه. وحاول الإنجليز امتصاص الموقف بإعلان مشروع جديد رفضته الأمة فقرر سعد زغلول مواصلة الجهاد فأعاد الإنجليز القبض عليه هو وفتح الله بركات باشا، وعاطف بركات بك، ومصطفى النحاس بك، وسينوت حنابك، والأستاذ مكرم عبيد. وقام الإنجليز بنفيهم يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٢١ إلى جزر سيشل حيث بقوا فى المنفى ٢٢ شهرا.

٥٣ - وفى خلال غيبة سعد أصدر الإنجليز ما اشتهر بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى أعلنوا فيه إنهاء الحماية التى فرضوها على مصر عام ١٩١٤، والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة، وإلغاء الأحكام العرفية، لكنهم فى نظير ذلك احتفظوا لأنفسهم بالدفاع عن مصر، والسيطرة على قناة السويس، وحماية المصالح الأجنبية والأقليات فى مصر، والإشراف على السودان وبذلك خفف الإنجليز قليلا من قبضتهم على مصر.

١٢ ـ سعد يرأس الوزارة

٥٤ ـ اختلف المصريون على تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى أعطى فيه الإنجليز مصر استقلالها بيد واحتفظوا فى اليد الأخرى بالسيطرة على الدفاع عن مصر وعن القناة وعن الأجانب والأقليات وعن السودان، ومع ذلك اعتبر هذا التصريح خطوة على طريق الاستقلال تحققت بفضل ثورة الشعب العفوية عام ١٩ التى أعقبها ظهور مصريين وطنيين مثل طلعت حرب الذى أسس أول بنك للمصريين ساهم فى إنشاء عديد من الشركات الوطنية، وكان من نتائج تصريح فبراير المناداة بالسلطان أحمد فؤاد ملكا على مصر (١٥ مارس ١٩٢٢)، واعتراف الإنجليز بفاروق الذى أنجبه فؤاد من زوجته الثانية نازلى (١١ فبراير ١٩٢٠) وليا للعهد.

وشهدت المرحلة التالية لصدور التصريح مجموعة إجراءات عكست بداية جديدة من فترات العمل الوطنى.. فألغيت عادة تعطيل المصالح الحكومية المصرية يوم عيد جلوس ملك انجلترا ويوم عيد ميلاده كما كان يحدث، وألغيت وظيفة مستشار وزارة الداخلية الإنجليزى، وتوقف المستشار المالى البريطانى عن حضور جلسات مجلس الوزراء وأصبح للوزارات وكلاء وزارة مصريين.

٥٥ ـ وفى ١٩ أبريل ١٩٢٣ شهدت مصر حدثا مهما بصدور دستور ١٩٢٣ الذى وضعته لجنة ضمت ٣٠ من المفكرين وذوى الرأى، وقد تأثروا فى وضعه بالدستور البلجيكى. ورغم أنه نص على أن الأمة مصدر السلطات، وأن المصريين سواء أمام القانون وعلى حرية العقيدة والرأى وحظر نفى أى مصرى وتكوين برلمان من مجلسين إلا أن مواد الدستور أعطت الملك حق إصدار مراسيم لها قوة القانون، وحق تعيين الوزارات وإقالتها بدون تبرير، وحق حل مجلس النواب حلا مطلقا دون شروط وحق إنشاء ومنح الرتب والنياشين فى الجيش وعزل الضباط وهى سلطات رغم اتساعها إلا أنها لم ترض فؤاد الذى ثار على الدستور بعد سنوات قليلة.

٥٦ ـ عاد سعد زغلول وصحبه من منفاهم فى سبتمبر ١٩٢٣، وفى يناير ١٩٢٤

جرت أول انتخابات برلمانية تطبيقا للدستور الجديد واكتسح الوفد برياسة سعد زغلول محققا ٩٠ فى المائة من مقاعد النواب. وسقط فى هذه الانتخابات يحيى إبراهيم باشا رئيس الوزراء الذى كان يشكل الوزارة التى أشرفت على الانتخابات وقد رشح نفسه مستقلا فى دائرة منيا القمح ففاز عليه مرشح الوفد والد سيد مرعى، وبهذه النتيجة عهد الملك فؤاد إلى سعد زغلول باشا تشكيل الوزارة (٢٨ يناير ١٩٢٤).

٥٧- كان اسم «الوفد» قد أصبح على كل لسان.. الوفد سيسافر.. الوفد قبضوا عليه.. الوفد نفوه.. الوفد سيعود.. الوفد عاد.. الوفد سافر إلى باريس.. وبسبب هذا الوضع أحس سعد زغلول أنه ليس حزبا، بل اعتبر نفسه وكيلا ممثلا للأمة فى قضاياها والدفاع عن مصالحها.. ولكن بسبب ظروف الانتخابات فقد كان ضروريا أن يخوض معركتها باعتباره حزبا وإن لم يعلن عن تكوينه..

٥٨- بعد ستة أشهر من توليه الوزارة أطلق عليه شاب اسمه عبد الخالق عبد اللطيف أثناء سفر سعد من محطة مصر إلى الإسكندرية فأصابه فى ذراعه، وأوضح الكشف الطبى عدم سلامة عقل الشاب فلم يحاكم، أما سعد فقد أعطاه الحادث المزيد من الشعبية.

١٣ـ برلمان ليوم واحد!

٥٩ـ استأنف سعد زغلول منذ أن رأس الوزارة محاولة استكمال مطالب الأمة وتحقيق استقلالها الكامل فسافر إلى لندن لمفاوضة الإنجليز ولكنهم استقبلوه بالمماطلة فعاد إلى مصر وفى نيته استئناف الجهاد، ولكن كانت المفاجأة عندما تربصت مجموعة من الشبان بالسير لى ستاك (قائد الجيش المصرى)، وهو عائد من وزارة الحربية إلى بيته فى الزمالك وأطلقوا عليه الرصاص وقتلوه يوم الأربعاء ١٩ نوفمبر ١٩٢٤، ونجحت الجهود فى القبض على تسعة أشخاص نفذ الإعدام فى سبعة منهم.

٦٠ـ استثمر الإنجليز الحادث استثمارًا سيئا فبعد يومين من وقوعه ذهب المندوب السامى البريطانى اللورد اللنبى إلى مقر رئاسة الوزارة فى مظاهرة عسكرية تضم نحو ٥٠٠ جندى، وأخرج إنذارين باللغة الإنجليزية قرأهما على سعد زغلول تضمنا مطالبة الحكومة المصرية بالاعتذار عن الحادث، والبحث عن الجناة، ومنع أية مظاهرات، ودفع غرامة نصف مليون جنيه للحكومة البريطانية بصفة تعويض، وسحب الجيش المصرى من السودان خلال ٢٤ ساعة، وإسقاط حق الحكومة فى إبداء أى اعتراض على التحفظات التى أعلنتها بريطانيا على تصريح فبراير ١٩٢٨ (انظر فقرة ٥٣).

٦١ـ رفضت حكومة سعد هذه المطالب فيما عدا اقتفاء آثار المجرمين، كما وافقت على دفع التعويض المطلوب. ولم يعجب هذا المندوب السامى البريطانى الذى أوضح ضيق حكومته بوزارة سعد واعتبارها المسئولة عن الحادث فقدم سعد استقالته يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٢٤ وقبلها فؤاد بلا تردد وكأنه كان ينتظرها وبذلك انتهت صفحة الوزارة الوحيدة التى رأسها سعد والتى لم تتجاوز عمرها أقل من ١١ شهرا.

٦٢ـ عهد الملك فؤاد إلى أحمد زيوار الذى كان معروفا بقربه من الإنجليز تأليف الوزارة الجديدة التى بادرت بقبول جميع المطالب البريطانية بما فى ذلك سحب

القوات المصرية من السودان مما كان معناه انفراد بريطانيا بالسيطرة عليه وانفصال السودان بعد ذلك عن مصر.

٦٣ـ تم حل مجلس النواب، ودعيت الأمة لانتخابات جديدة، عين إسماعيل صدقى عدو الوفد اللدود وزيرا للداخلية فيها لتزويرها وإسقاط الوفد، وبالفعل أعلن صدقى يوم ١٣ مارس ١٩٢٥ـ ثانى يوم الانتخابات فشل الوفد فى الحصول على الأغلبية، فكانت فرحة كبيرة للملك أحمد فؤاد الذى عهد إلى زيوار باشا بتأليف وزارة جديدة لم يدخلها أى وفدى، وفى اليوم التالى اجتمع المجلسان «الشيوخ القديم والنواب الجديد» برياسة رئيس مجلس الشيوخ محمد توفيق نسيم.

وألقى زيوار أمام الملك الذى كانت تبدو عليه السعادة خطاب العرش. وفى المساء اجتمع مجلس النواب وحده لانتخاب رئيسه بالاقتراع السرى وقد تقدم لرئاسته سعد زغلول وعبد الخالق ثروت، وكانت المفاجأة فوز سعد بعد اكتشاف أن أغلبية أعضاء المجلس من الوفديين على عكس بيان الداخلية! وفوجئ زيوار باشا رئيس الوزراء بهذه النتيجة التى تعنى أنه يرأس حكومة لاتملك الأغلبية فى البرلمان فقدم استقالة حكومته ولكن الملك رفضها وبدلا من ذلك استهزأ بإرادة الشعب وأصدر مرسوما بحل البرلمان الجديد فى مساء نفس يوم انعقاده وأصبح أول برلمان لايكمل يوما واحدا!

١٤ـ النحاس رئيسا للوفد

٦٤ـ وضح من قرار الملك فؤاد حل مجلس النواب الجديد فى مساء يوم انعقاده لأول مرة، مدى الكراهية التى يحملها الملك تجاه الوفد ورئيسه سعد زغلول. وهى عقدة تأكدت مع مرور السنوات وامتدت إلى ابنه فاروق، وكان من بين أسبابها خصوم الوفد سواء الذين انفصلوا عن الوفد الأم وكونوا أحزابا جديدة أو من الذين أطلقوا على أنفسهم مستقلين واكتشفوا عدم القدرة على تحقيق مطامعهم فى الوصول إلى الحكم وهزيمة الوفد عن طريق الانتخابات فاتجهوا إلى استرضاء إما المندوب السامى البريطانى أو الملك أو الاثنين معا. وقد وجد الملك فى أطماع هؤلاء ما شجعه على تجاهل الدستور والقوانين.

٦٥ـ قضت مصر بعد حل مجلس نواب اليوم الواحد ٢٥ شهرا بدون برلمان، إلى أن قبل فؤاد الدعوة لانتخابات جديدة (الانتخابات الثالثة فى خلال ٣ سنوات) وكالعادة فاز الوفد بأغلبية كبيرة، لكن سعد زغلول تفاديا للصدام اتفق مع عدلى يكن رئيس حزب الأحرار الدستوريين (ألفه عام ١٩٢٢) على أن يراس عدلى الوزارة وتكون ائتلافية من الوفد والأحرار والمستقلين، أما سعد زغلول فاختار رئاسة مجلس النواب، ولعله أحس بالكبر وعدم القدرة على تحمل الوزارة والصدام حتما مع الانجليز فآثر الراحة.. وبالفعل فإنه بعد نحو سنة رئيسا لمجلس النواب توفى فى ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ عن ٧٠ عاما وودعته الأمة فى اليوم التالى فى جنازة شعبية مهيبة رغم أنه لم تكن هناك وقتها وسائل الاتصالات والإعلام المتاحة اليوم. وبعد موت سعد خلفه فى رئاسة مجلس النواب مصطفى النحاس.

٦٦ـ ولد مصطفى النحاس فى سمنود (محافظة الغربية) عام ١٨٧٦ وبعد تخرجه فى مدرسة الحقوق عمل محاميا بالمنصورة ثم عين قاضيا عام ١٩٠٤، ورغم عمله القضائى استهوته السياسة والعمل الوطنى واتصل بالحزب الوطنى الذى أنشأه مصطفى كامل ثم تعرف على سعد زغلول وأعجب به، وفى خلال ثورة ١٩ لعب دورا

نشيطا وكان يتولى نقل المنشورات التى تطبع فى القاهرة لتوزيعها فى طنطا التى كان قاضيا بها. ونتيجة لذلك أحيل إلى المعاش وهو فى سن ٤٣ فتفرغ للنشاط السياسى والتصق بسعد زغلول ونفى معه إلى مالطة مدة ٢٢ شهرا (راجع فقرة ٥٢)، وبعد العودة من المنفى تم اختياره سكرتيرا لحزب الوفد ثم وكيلا لسعد زغلول فى مجلس النواب.

٦٧ـ اختلف عدلى يكن رئيس الوزارة الائتلافية مع البرلمان وأصر على الاستقالة فعهد الملك إلى مصطفى النحاس باعتباره رئيس الحزب صاحب الأغلبية فى البرلمان تشكيل الوزارة لأول مرة فى مارس ١٩٢٨ وقد بقيت ائتلافية كما كانت برئاسة عدلى يكن، إلا أنه بعد نحو ثلاثة أشهر وبترتيب اشترك فيه الملك استقال عدد من الوزراء ـ غير الوفديين ـ فانتهزها الملك فرصة وأرسل إلى النحاس ما يعد أول إقالة فى تاريخ مصر لرئيس وزراء يتمتع بثقة البرلمان، إلا أنها لم تكن الإقالة الوحيدة فى تاريخ النحاس!

١٥ـ وفاة الملك فؤاد

٦٨ـ بعد إقالة الملك فؤاد لوزارة مصطفى النحاس الأولى فى يونيو ١٩٢٨ وحل برلمانه الذى كان يتمتع بأغلبية وفدية، انتظرت الأمة ١٨ شهرا قبل أن تدعى لانتخابات جديدة (الرابعة فى ٦ سنوات).

وكما فى الانتخابات الثلاثة السابقة فاز حزب الوفد بأغلبية ساحقة (٢١٢ من ٢٢٥ مقعدا). ومرة ثانية عهد الملك إلى مصطفى النحاس تشكيل الوزارة وهى الثانية له فشكلها هذه المرة فى أول يناير ١٩٣٠ من وزراء جميعهم وفديين على عكس وزارته الأولى الائتلافية.

ولكن ما إن مضت بضعة أسابيع حتى اختلف النحاس مع الملك حول الأعضاء الذين يتم بمقتضى القانون تعيينهم فى مجلس الشيوخ فقد أرسل النحاس قائمة إلى الملك رفضها واستبدلها بقائمة أخرى اعترض عليها النحاس وقدم استقالته يوم ١٧ يونيو (١٩٣٠) بعد أقل من ستة أشهر. ولم يكتف الملك فى هذه المرة بقبول الاستقالة وحل البرلمان كما هو المعتاد مع كل وزارة وفدية بل أضاف إلى ذلك إصدار مرسوم بإلغاء الدستور الذى بدأ العمل به من عام ١٩٢٣ وتكليف إسماعيل صدقى تأليف وزارة جديدة ووضع دستور جديد يعطى الملك سلطات أكبر.

٦٩ـ كان إسماعيل صدقى وهو من مواليد ١٨٧٥ (توفى ١٩٤٩) من أعضاء الحركة الوطنية الذين شاركوا سعد زغلول كفاحه وزامل سعد ومصطفى النحاس المنفى فى مالطة، لكنه انقلب على الوفد وأصبح من ألد أعدائه وكون حزبا أسماه حزب الشعب كانت علاقته مفقودة مع الشعب، وبالتالى لم يكن له أمل فى الوصول إلى الحكم سوى استرضاء الملك وكان إسماعيل صدقى بطل الانتخابات التى حاول تزويرها عندما تولى وزارة الداخلية خصيصا لهذا الغرض لكنها انتهت إلى تشكيل برلمان اليوم الواحد (انظر الفقرة ٦٣).

٧٠ـ قدم إسماعيل صدقى بعد أسابيع قليلة من توليه الوزارة دستورا جديدا أطلق عليه دستور ٣٠ كان الواضح أنه أعده سرا وقد أعطى الملك حق حل مجلس

النواب دون التقيد بموعد محدد لإجراء انتخابات جديدة كما فى دستور ٢٣، كماأعطى الملك حق رفض التصديق على أى قانون يقرره البرلمان.

٧١ـ لم يكتف إسماعيل صدقى بذلك بل وضع نظاما جديدا للانتخابات يقضى بأن ينتخب كل ٥٠ ناخبا مندوبا عنهم، وبعد ذلك يقوم المندوبون فى كل دائرة باختيار عضو المجلس عن الدائرة ـ ونتيجة لذلك قاطع الوفد هذه الانتخابات التى جرت على نظام المندوبين فى يونيو ١٩٣١. ويخلو البرلمان من ممثلى حزب الوفد استمر هذا البرلمان لأول مرة أربع سنوات متصلة تعرضت البلاد خلالها لمظاهرات وأعمال عنف بالغة انتهت بإلغاء الملك دستور ٣٠ واعادة العمل بدستور ٢٣ وتشكيل وزارة من المستقلين برياسة على ماهر لإجراء انتخابات جديدة حدد لها يوم ٢ مايو ١٩٣٦، ولكن وقبل خمسة أيام من هذا الموعد توفى الملك فؤاد يوم ٢٨ أبريل ونودى بفاروق ملكا على البلاد.

وكان فاروق قد ولد يوم ١١ فبراير ١٩٢٠ فى غمار الحوادث والعواصف السياسية التى كانت تعيشها مصر. فى ذلك الوقت، إلا أن هذا لم يمنع المندوب السامى البريطانى اللورد اللنبى من إبلاغ فؤاد ما نصه : إننى أمرت من جلالة ملك بريطانيا أن أبلغ عظمتكم الاعتراف بنجل عظمتكم الأمير فاروق ونسله من الذكور على قاعدة الأكبر من الأولاد وليا لعهد عظمتكم فى حق تقلد السلطنة المصرية.

١٦ـ معاهدة ٣٦

٧٢ـ لم تؤثر وفاة الملك فؤاد يوم ٢٨ أبريل ١٩٣٦ على الانتخابات التى جرت فى موعدها (٢ مايو) وأسفرت كالعادة عن أغلبية وفدية جعلت مصطفى النحاس يشكل الوزارة الجديدة (الثالثة له).

٧٣ـ منذ أصدرت بريطانيا فى ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ما أسمته «التصريح لمصر بانتهاء الحماية البريطانية والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة» وهو التصريح الذى أعطى مصر استقلالا شكليا. تحتفظ فيه بريطانيا بحماية قناة السويس والأجانب والأقليات فى مصر، والدفاع عنها، والإشراف على السودان.. أقول منذ هذا التصريح ورغم اختلاف المصريين عليه فلقد سادت نظرية أن هذا التصريح جاء من طرف واحد هو بريطانيا، وبالتالى فهو لايقيد مصر على أساس أنه لم يتحقق نتيجة مفاوضات مشتركة، الأمر الذى جعل المصريين يعتبرونه نقطة بداية لمفاوضات تحقق أملهم فى الاستقلال الكامل.

ولما كانت قضية الاستقلال لا خلاف عليها بين الأحزاب والساسة فقد قرروا تشكيل وفد يمثلهم برئاسة مصطفى النحاس رئيس حزب الوفد يتولى مفاوضة الإنجليز. وقد بدأت هذه المفاوضات يوم ٢ مارس ٣٦ فلما تولى النحاس رئاسة الوزارة تابع مع باقى ممثلى الأحزاب استكمال المفاوضات التى توصلت إلى مشروع معاهدة وقعت فى لندن يوم ٢٦ أغسطس ١٩٣٦، وأقرها البرلمان بأغلبية كبيرة قبل نهاية العام.

٧٤ـ لم تحقق معاهدة ٣٦ـ كما اشتهرت بهذا الاسم ـ الآمال المطلوبة لتحقيق جلاء المحتل فقد جاءت بدورها استقلالا منقوصا، ولكن رئى قبولها على أساس أنها الممكن فقد كانت تقضى بنقل قواعد ومعسكرات القوات البريطانية المنتشرة فى القاهرة والإسكندرية ومدن أخرى وكانت صورة هذه المعسكرات وجنودها يستفزون المشاعر الوطنية فتقرر نقلها إلى منطقة قناة السويس إلا أن ظروف الحرب العالمية

(من ٣٩ إلى ٤٥) أجلت عملية النقل إلى عامى ٤٦ و٤٧ وبقيت حتى هذا التاريخ التكنات العسكرية الضخمة للإنجليز فى القاهرة فى القلعة وفى المنطقة التى أقيم فيها فندق هيلتون ومبنى الجامعة العربية بميدان التحرير (الإسماعيلية سابقا).

كذلك كان من ثمار معاهدة ٣٦ حق مصر وحدها فى حماية الأجانب وزوال المحاكم المختلطة التى كان يحاكم أمامها الأجانب، وإلغاء صندوق الدين الذى أنشئ لسداد ديون مصر منذ عهد الخديو إسماعيل.

٧٥- استتبع إلغاء المعاهدة العمل على زيادة عدد ضباط الجيش المصرى لتولى مهامه فى حماية الأجانب والاستعداد للدفاع عن مصر عندما يكتمل استقلالها، ولأول مرة تفتح المدرسة الحربية لاستقبال دفعة كبيرة ومن أبناء الطبقة المتوسطة بعد أن كانت تستقبل عددا محدودا من أبناء الأسر الغنية. ومن بين هؤلاء الطلبة الذين استقبلتهم المدرسة الحربية نتيجة لذلك شباب حملوا أسماء جمال عبد الناصر، وأنور السادات، وزكريا محيى الدين، وعبد اللطيف البغدادى وغيرهم من الذين لم يكن أحد وقتها يعرف أنهم سيغيرون تاريخ مصر!

١٧ـ فاروق ملكا

٧٦ـ كان فاروق يوم وفاة أبيه الملك فؤاد موجودًا فى انجلترا فى مدرسة ساند هيرست العسكرية المشهورة بتعليم أبناء الأسر الإنجليزية الكبيرة، ولكن بسبب وفاة الأب عاد فاروق إلى مصر دون أن يحصل على قدر كاف من التعليم فى الخارج، حاولوا تعويضه بتخصيص بعض المدرسين لتعليمه فى قصر عابدين العربية وبعض العلوم البسيطة.

٧٧ـ كانت سن فاروق يوم وفاة أبيه ١٦ سنة و٣ أشهر ولذلك عهد إلى مجلس وصاية تولى شئون الحكم إلى أن يبلغ سن الرشد. إلا أن المتعجلين لحكمه لم ينتظروا وصوله الثامنة عشرة يوم ١١ فبراير ١٩٣٨ بل قرروا بلوغه هذه السن يوم ٢٩ يوليو ١٩٣٧ على أساس أنه بلغ فى هذا اليوم ١٨ سنة هجرية (السنة الهجرية تنقص ١١ يوما عن الميلادية). ولم تكن هذه هى السابقة الأولى فى أسرة محمد على فمن قبل خلف عباس حلمى الثانى أباه توفيق عندما بلغ سن الـ١٨ بالهجرية، ولكن من المفارقات أن الاثنين: عباس وفاروق انتهى حكمهما بالخلع (فقرة ٤٣) وإن كان الأول قد خلعه الإنجليز والثانى خلعه الشعب.

٧٨ـ ما إن تولى فاروق سلطاته الدستورية وأصبح ملكا وقد استقبلته الأمة بفرحة كبيرة وآمال أكبر، حتى تصادف أن تعرض حزب الوفد لبداية شرخ فى صفوفه نتيجة أزمة خلافية انتهت بإخراج أربعة من كبار أعضائه من بينهم محمود فهمى النقراشى الذى اشتهر بوطنيته ونزاهته وجرأته فى معارضة ما يراه تجاوزا. وقد استقطب خروجه فريقا من الوفديين المؤيدين له كونوا فيما بينهم حزبا جديدا اسمه (السعديين) نسبة إلى الزعيم الأكبر سعد زغلول باعتبار أنهم الأحرص على حماية مبادئه.

٧٩ـ استثمر فارق الخلاف الذى تعرض له الوفد، وأرسل إلى مصطفى النحاس بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ خطابا بالغ الإهانة كان نصه:

عزيزى مصطفى النحاس باشا:

نظرا لما اجتمع لدينا من الأدلة على أن شعبنا لم يعد يؤيد طريقة الوزارة فى الحكم، وأن يأخذ عليها مجافاتها لروح الدستور وبعدها عن احترام الحريات العامة وحمايتها، وتعذر إيجاد سبيل لاستصلاح الأمور على يد الوزارة التى تراسونها، لم يكن بد من إقالتها تمهيدا لإقامة حكم صالح يقوم على تعرف رأى الأمة، لتستقر به السكينة والصفاء في البلاد ويوجه سياستها خير وجهة فى الظروف الدقيقة التى تجتازها ويحقق آمالنا العظيمة في رقيها وعزتها وإنى أشكر لمقامكم الرفيع ولحضرات زملائكم ما تم على أيديكم للبلاد، وأصدرنا أمرنا هذا لمقامكم الرفيع بذلك.

وهكذا أثبت فاروق بمشورة الذين حوله أنه ماض بقوة على طريق أبيه فى كراهية الوفد. وكالعادة تم حل البرلمان وإجراء انتخابات جديدة سيطر عليها التزوير بصورة غير مسبوقة كان من نتيجتها حصول حزب الوفد على ١٢ مقعدا فقط من ٢٦٤، وبذلك ابتعد الوفد عن الحكم طوال أربع سنوات إلى أن عاد فى ٤ فبراير ١٩٤٢.

٨٠ ـ فى سبتمبر ١٩٣٩ اكتسح الزعيم الألمانى أدولف هتلر بولندا فى بداية أحداث بدت أنها نزاع أوروبى محدود بين ألمانيا فى جانب وبريطانيا وفرنسا فى جانب آخر إلا أنه اتسع ليشمل تقريبا معظم دول العالم التى خسرت ٢٥ مليون قتيل فى هذه الحرب التى استمرت حتى منتصف عام ١٩٤٥. وبالنسبة لمصر فقد كان عليها أن تؤجل مؤقتا أى مطلب بالاستقلال وتتفرغ لخدمة بريطانيا المهددة فى هذه الحرب.

١٨ـ ٤ فبراير ١٩٤٢

٨١ ـ فى ١٠ يونيو ١٩٤٠ دخلت إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا، ومنذ ذلك التاريخ وضعت إيطاليا التى كانت قواتها تحتل ليبيا هدفا لها احتلال مصر وقناة السويس للسيطرة على البحر الأبيض وغلقه فى وجه الإنجليز ولتحقيق ذلك اقتحمت القوات الإيطالية الحدود المصرية واستولت على السلوم وواصلت زحفها إلى سيدى برانى قرب مرسى مطروح ولكن القوات الإنجليزية نجحت فى رد هذه القوات ومطاردتها إلى داخل الأراضى الليبية إلى بنغازى وعاصمتها برقة.

لاحظ الألمان خطورة الوضع الذى يواجه أصدقاءهم الإيطاليين فأرسلوا إليهم قوات كبيرة يقودها الجنرال إيروين روميل أحد أكفأ قياداتها الذى اشتهر باسم ثعلب الصحراء وقد نجح فى رد الإنجليز ومطاردتهم إلى داخل الأراضى المصرية مستوليا فى طريقه على مرسى مطروح. واختار الإنجليز قائدا جديدا هو الجنرال برنارد مونتجمرى الذى نجح فى حسم المعارك لصالحه بعد أن جعل من منطقة العلمين نقطة فاصلة لهزيمة روميل فى أكتوبر ١٩٤٢ فى معركة من أشرس معارك الدبابات تقهقرت بعدها قوات المحور.

٨٢ ـ فى خلال ذلك تعرضت مصر لغارات وقنابل الألمان والإيطاليين.. وترك الكثيرون من سكان الإسكندرية وبعض المدن أماكن إقامتهم وهاجروا إلى الريف بحثا عن الأمان فى الوقت الذى وضعت فيه الموانئ المصرية ووسائل المواصلات والإنتاج الزراعى فى خدمة قوات التحالف التى بدأ وصولها إلى الأراضى المصرية بأعداد كبيرة... وكما حدث فى الحرب العالمية الأولى عندما تطلع المصريون لفوز الدولة العثمانية على بريطانيا كراهية فى الإنجليز ولكن العثمانيون خيبوا آمالهم وانهزموا، كذلك راح عدد من المصريين يتمنون فوز الألمان إلى درجة خروج بعض المظاهرات مرددة «إلى الأمام يا روميل» الأمر الذى أزعج الإنجليز بشكل كبير وخصوصا أن روميل كان فى ذلك الوقت يتقدم داخل الأراضى المصرية. وقد وصل

الأمر بالمسئولين فى السفارة البريطانية إلى إحراق عدد كبير من الوثائق الموجودة فى السفارة حتى لايستولى عليها الألمان عند دخولهم القاهرة، كما قيل إن خططا وضعت لنسف القناطر الخيرية وإغراق الدلتا بمياه النيل!

٨٣ ـ فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وجه المندوب السامى البريطانى إنذارا إلى الملك فاروق كان نصه: «إذا لم أسمع قبل السادسة مساء أن النحاس باشا قد دعى لتأليف وزارة فإن جلالة الملك فاروق يجب أن يتحمل ما يترتب على ذلك من نتائج»(*).

٨٤ ـ استدعى الملك ١٧ من كبار الشخصيات السياسية المصرية كان من بينهم مصطفى النحاس فكان رأيهم الرد على الإنذار ببيان احتجاج وقعوا عليه جميعا كان نصه «إن فى توجيه التبليغ البريطانى اعتداء على استقلال البلاد ومساسا بمعاهدة الصداقة ولايسمح الملك أن يقبل ما يمس استقلال البلاد ويخل بأحكام المعاهدة (يقصدون معاهدة ٣٦).

٨٥ ـ كان رأى الإنجليز أنهم فى حاجة إلى حكومة قوية تعتمد على تأييد شعبى كاف لضرب أى اتصالات بين المصريين وأعداء الحلفاء، وعندما تلقى السفير البريطانى الرد المصرى قال إن هذا ليس ردا وأنه سيحضر لمقابلة الملك فى التاسعة مساء.. وقبل أن يذهب السفير للقاء فاروق فى قصر عابدين كانت الدبابات البريطانية قد سبقته وأحاطت بالقصر!

(*) كان رئيس الوزراء فى ذلك الوقت حسين سرى وقد حدث أن قطعت مصر علاقاتها الدبلوماسية بحكومة فيشى الفرنسية الموالية للمحور تحت ضغط الحكومة البريطانية. وقد احتج الملك فاروق وغضب لعدم مشاورته فى القرار وطلب من رئيس الوزراء إقالة وزير الخارجية صليب سامى باشا. ولما كان وزير الخارجية قد تصرف بناء على توجيهات من رئيس الوزراء فقد رأى حسين سرى أن تستقيل وزارته كلها، وقدم استقالته يوم ٢ فبراير ١٩٤٢. وقد تصادف قبل استقالته أن قامت مظاهرات صاخبة نادى فيها المتظاهرون بسقوط بريطانيا وهتفوا «تقدم ياروميل.. إلى الأمام يا روميل» فطلب الإنجليز من سرى باشا التصدى لهذه المظاهرات بقوة ووضع حد لها ولكنه لم يستجب إلى طلبهم وقدم استقالته.

١٩ـ إنذار بريطانى لفاروق

٨٦ ـ وصل السفير البريطانى سير مايلز لامبسون إلى قصر عابدين فى التاسعة مساء الأربعاء (٤ فبراير ١٩٤٢) ودخل على فاروق فى مكتبه فيما يشبه عملية اقتحام ووضع أمامه نصا مكتوبا جاء فيه: نحن فاروق الأول ملك مصر. تقديرا منا لصالح بلدنا فإننا هنا نتنازل عن العرش ونتخلى عن أى حق فيه لأنفسنا ولذريتنا ونتنازل أيضا عن كل الحقوق والامتيازات والصلاحيات التى كانت عندنا بحكم الجلوس على العرش ونحن هنا أيضا نحل رعايانا من يمين الولاء لشخصنا».

٨٧ ـ كاد فاروق كما كتب السفير فى تقريره لحكومته أن يمسك القلم لولا أن قال له رئيس ديوانه أحمد حسنين الذى كان حاضرا عبارة باللغة العربية وهنا ـ كما يقول نص تقرير السفير ـ نظر فاروق إلى السفير «بطريقة محزنة وبدون أية ادعاءات مما كان يتظاهر به من قبل وسأله إذا كان فى الإمكان إعطاؤه فرصة أخرى وأخيرة» فأجابه السفير: إننى لابد أن أعرف فورا وبدون مراوغة ما الذى تنوى عمله. قال الملك: سوف أستدعى النحاس على الفور وأكلفه تشكيل وزارة جديدة.

٨٨ ـ دعا الملك فور خروج السفير الزعماء السياسيين لاجتماع ثان اكتمل فى العاشرة مساء. وكما سجل المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعى فقد بدأ الملك قائلا: اعتبروا ما قررتموه اليوم كأن لم يكن (انظر الفقرة ٨٤) وأكلفك يا نحاس باشا بتشكيل الوزارة. فاعتذر النحاس لجلالة الملك وطلب إعفاءه، من هذه المهمة ولكن جلالة الملك أصر على أمره بتأليف الوزارة. عندئذ قال أحمد ماهر (رئيس حزب السعديين): كنت أظن أن النحاس باشا وهو كما يقول عن نفسه زعيم البلاد وصاحب معاهدة الشرف والاستقلال يرفض تشكيل الوزارة، أما وقد قبلها فإنى أعلن فى حضرة ملك البلاد أن النحاس باشا يتولى الحكم الليلة مستندا إلى أسنة رماح الإنجليز. فقال النحاس: لست أنا الذى أستند إلى أسنة الرماح. قال إسماعيل صدقى: أظن أن رفعتكم وصلتم إلى هنا بعد انصراف الدبابات. فتدخل الملك وأشار

على المتحدثين بالسكوت وطلب إلى النحاس أن يذهب إلى السفير البريطاني ويبلغه نبأ تكليفه تأليف الوزارة، وانتهى الاجتماع على ذلك. وبعد يومين شكل النحاس وزارته (الخامسة)، وفي الشهر التالي (مارس) تم حل مجلس النواب وأجريت انتخابات جديدة قاطعها السعديون والأحرار احتجاجا على موقف النحاس الذي أعاد تشكيل وزارته بعد أن أصبحت تستند إلى أصوات الناخبين المصريين لا إلى أسنة رماح الإنجليز(*).

٨٩ ـ أثار حادث ٤ فبراير غضب كثيرين ومنهم عدد كبير من الضباط الذين ذهبوا إلى قصر عابدين ليسجلوا أسماءهم في دفتر الزيارات تعبيرا عن تأييدهم للملك. بينما قدم ضابط برتبة صاغ (رائد) استقالته احتجاجا وغضبا لأنه لم يتمكن من حماية ملكه. وقد شكر له المسئولون في قصر عابدين مشاعره ورفضوا تسلم استقالته، وكان هذا الشاب هو الضابط محمد نجيب الذي فيما بعد كان قائد يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ طردت فاروق.

(*) كان النحاس باشا عند تولي فاروق الحكم قد قدم استقالة وزارته وأعاد الملك تكليفه بالوزارة فأعاد تشكيلها كما كانت من قبل لكن اعتبر أن هذه الوزارة التي شكلها النحاس بعد تولي الملك وزارته الرابعة.

٢٠ـ سنوات العنف

٩٠ـ انتظر فاروق حتى بدا واضحا انتصار الإنجليز فى الحرب واستنفاذهم غايتهم من رئاسة مصطفى النحاس باشا للوزارة فأرسل إلى النحاس بتاريخ أكتوبر ١٩٤٤ خطابا مهينا ثانيا قال له فيه: «لما كنت حريصا أن تحكم بلادى وزارة ديمقراطية تعمل للوطن وتطبق أحكام الدستور وتسوى بين جميع المصريين فى الحقوق والواجبات وتقوم بتوفير الغذاء والكساء لطبقات الشعب، فقد رأينا أن نقيلكم من منصبكم».

وكالعادة تم حل مجلس النواب الوفدى وجرت انتخابات قاطعها حزب الوفد احتجاجا فابتعد عن الحكم خمس سنوات شهد ست وزارات: أحمد ماهر (حزب سعدى) وانتهت باغتياله، ثم محمود فهمى النقراشى (سعدى) ثم إسماعيل صدقى (حزب الشعب) ثم محمود فهمى النقراشى مرة ثانية وانتهت باغتياله، ثم إبراهيم عبد الهادى (سعدى) ثم حسين سرى (مستقل).

٩١ـ ما إن انتهت الحرب العالمية فى منتصف عام ١٩٤٥ حتى استأنف شباب المدارس والجامعات مظاهراتهم التى توقفت خلال الحرب، تنادى بالاستقلال والجلاء التام.. وفى خلال ذلك سادت مصر حركة سياسية شملت أقصى اليمين واليسار.. كان هناك حزب مصر الفتاة الذى كونه شاب متحمس اسمه أحمد حسين عام ١٩٣٣ تأثر أولا بفكر طلعت حرب فى وطنيته الاقتصادية ثم تحول إلى العمل السياسى وأصدر جريدة «مصر الفتاة» التى حولها إلى منشور ثورى منها عدد خاص يحمل صورا بالغة التأثير لمواطنين فقراء، وفوقها بالخط الكبير: رعاياك يامولاى.. وكان هناك الفكر الشيوعى الماركسى الذى بدأ نشاطه تحت السطح سرا وأشهره (حدتو) وهى اختصار اسم (حركة الديمقراطية للتحرر الوطنى). لكن الأخطر من ذلك كانت جماعة الإخوان المسلمين.

٩٢ـ انطلقت حركة الإخوان من مدينة الإسماعيلية كدعوة دينية عام ١٩٢٨ على

يد مدرس ابتدائى شاب اسم شهرته حسن البنا كان سنه فى ذلك الوقت ٢٢ سنة راح يجوب المقاهى والتجمعات محرضا المواطنين على دينهم، وقد لقيت دعوته انتشاراً ساعد عليه إحساس المصريين بحاجتهم إلى سلاح الدين ضد الاحتلال الإنجليزى، وتنامى الأخبار عن حركة كمال أتاتورك العلمانية فى تركيا، واحتماء الكثيرين بخندق الإسلام خوفاً من موجة تغريبية (نسبة إلى الغرب) تكتسح مصر.. وفى البداية كان شعار الإخوان الله غايتنا، والرسول زعيمنا والقرآن دستورنا. ولكن منذ ١٩٤٤ عندما شكل الإخوان تنظيما سريا مسلحا فقد أصبح الشعار: الجهاد سبيلنا، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا. ومنذ ذلك الوقت انفجرت قنابل كثيرة فى منشآت مختلفة، ودوت رصاصات أنهت بالاغتيال عددا كبيراً من الأسماء التى اتهم الإخوان باغتيالهم كان منهم محمود فهمى النقراشى الذى حل جماعة الاخوان المسلمين عام ١٩٤٨ فعاقبه الاخوان بالاغتيال، وردت الحكومة بتدبير اغتيال زعيم الجماعة حسن البنا فى فبراير ٤٩ وقد جرى اغتياله أمام مقر الشبان المسلمين بشارع رمسيس حاليا. وعقب ثورة يوليو ٥٢ أعيد فتح التحقيق فى هذا الحادث الذى تبين أنه تم بتدبير من الأميرالاى محمود عبد الحميد مدير المباحث الجنائية فى ذلك الوقت وحكمت عليه محكمة الجنايات فى عام ١٩٥٤ بالسجن ١٥ سنة، كما حكمت على آخرين من المباحث الجنائية بمدد مختلفة وكذا على سائقه الخاص(*).

(*) شهدت سنوات الاربعينيات بعد الحرب عددا كبيرا من عمليات العنف والاغتيالات نذكر منها:
- اغتيال أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء فى البهو الفرعونى لمجلس النواب يوم ٢٤ فبراير ١٩٤٥.
- اغتيال أمين عثمان وزير المالية فى حكومة الوفد السابقة يوم ٥ يناير ١٩٤٦ لما اشتهر عنه من علاقة وثيقة بالسلطات الإنجليزية.
- اغتيال المستشار أحمد الخازندار وكيل محكمة استئناف مصر (٢٢ مارس ١٩٤٨) عند خروجه من منزله فى حلوان وتبين ان القاتلين من شباب الإخوان المسلمين وأنهما قتلاه انتقاما لحكم أصدره على متهمين من الإخوان.
- اغتيال اللواء سليم زكى حكمدار العاصمة (٤ ديسمبر ١٩٤٨) عندما القيت عليه قنبلة من على سطح كلية طب قصر العينى، بينما كان على رأس قوة ترابط امام الكلية.
- اغتيال محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء أمام مصعد وزارة الداخلية على يد شاب من الإخوان المسلمين بسبب قرار النقراشى حل جماعة الإخوان يوم ٨ ديسمبر ١٩٤٨.
- اغتيال حسن البنا رئيس جماعة الإخوان المسلمين (١٢ فبراير ١٩٤٩).
- محاولة اغتيال إبراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء (٥ مايو ١٩٤٩).
- كما جرت عدة محاولات لاغتيال مصطفى النحاس باشا وتفجيرات فى أماكن مختلفة.

٢١ـ المطامع والمصالح

٩٣ ـ بدأت عملية الاستيلاء على فلسطين بحلم صهيونى ساعد على تحقيقه توافق هذا الحلم مع استراتيجية الاستعمار فى غرز إسرائيل كخنجر فى قلب الأمة العربية يعطل تماسكها، ويشتت جهودها، ويحرس مصالح الغرب الذى وجد فى منظمة الأمم المتحدة التى أقيمت بعد الحرب العالمية الثانية محكمة يستصدر منها حكما بإقامة الدولة اليهودية فى فلسطين.

٩٤ ـ هناك فرق بين اليهودية والصهيونية، فاليهودية دين سماوى، والصهيونية حركة سياسية. اليهودية ديانة بعث بها الله النبى موسى الذى لم تكن له علاقة بفلسطين أو القدس. فموسى ولد وتربى فى مصر ورسالة التوراة التى حملت تعاليم اليهودية تلقاها فى مصر وبعد ذلك مات، ودفن فى مصر. أما الصهيونية فهى حركة سياسية قامت لتجميع اليهود المنتشرين فى دولة تضمهم. وقد رفض قادة هذه الحركة فى عروض نوقشت معهم إقامة مثل هذه الدولة فى الأرجنتين أو قبرص أو العريش أو أوغندا، وتمسكوا بإقامتها فى فلسطين بدعوى وجود تاريخى لهم كان عابرا منذ ٢٥ قرنا (من ٥٨٦ قبل الميلاد إلى ٧٠ ميلادية) وبالتالى لم يتجاوز الأربعة قرون لم يختف خلالها الوجود العربى فى فلسطين بل استمر منذ فجر التاريخ إلى اليوم. ولو صح ادعاء اليهود بأن أربعة قرون فى بعض أجزاء ـ وليس كل فلسطين ـ تعطيهم الاستيلاء عليها، لكان على العرب المطالبة بالأندلس (جنوب إسبانيا حاليا) التى أقاموا فيها ثمانية قرون متصلة من عام ٧١١ إلى ١٤٩٢(*).

٩٥ ـ كانت هناك إلى جانب الحلم الصهيونى مجموعة عوامل صبت كلها فى تحقيقه. أول هذه العوامل أن بريطانيا بعد احتلالها لمصر عام ١٨٨٢ انطلقت تخطط هى وفرنسا للاستيلاء على كل المنطقة، وعند اقتسام تركة الدولة العثمانية التى انهارت فى الحرب العالمية الأولى كانت فلسطين من نصيب بريطانيا، الأمر الذى

(*) مات النبى موسى ـ عليه السلام ـ فى سيناء فى التيه دون أن يعرف مكان دفنه. وكل الأنبياء فيما عدا سيدنا محمد رسول الله غير معروف أماكن دفنهم.

سهل للإنجليز واليهود معا تنفيذ المؤامرة على حساب العرب. كانت هناك ثانيا قناة السويس ورغبة بريطانيا فى السيطرة عليها من خلال الحارس الصهيونى، ثم كانت هناك ثالثا ثروات البترول التى انتشرت رائحتها فى الخليج، وبدا الكيان اليهودى ضمانا يتولى حراستها لبقائها فى يد الغرب.. ثم كانت هناك رابعا تخوفات مبكرة من مد عربى يلوح فى الأفق..

٩٦ـ غير ذلك فلقد كانت هناك من باب الأمانة جهود متواصلة لاتتوقف من قادة الحركة الصهيونية للاتصالات والقوة، تقابلها حالة من التراخى والتمزق والضعف من العرب. وكان من نتيجة ذلك أن جميع القوى التى عرفها العالم وضعت ضمن استراتيجيتها إنشاء دولة يهودية فى فلسطين على حساب العرب. لقد تلاقت المطامع مع المصالح. أما الحق، فالقوة يمكن أن تخيفه أو تخفيه!

٢٢ـ تقسيم فلسطين

٩٧ـ فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ بعث لورد بلفور وزير خارجية بريطانيا خطابا إلى لورد روتشيلد أحد زعماء الحركة الصهيونية يعده بأن «تبذل الحكومة البريطانية ما فى وسعها لتسيير تحقيق إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين». وبعد أربع سنوات من هذا الخطاب تولت بريطانيا مهمة الانتداب على فلسطين إلى أن يتم الاتفاق دوليا على مستقبلها. ومنذ تولت بريطانيا «الأمانة الفلسطينية» فتحت وبقوة الباب الذى كانت تغلقه الدولة العثمانية ـ التى كانت تتبعها فلسطين ـ أمام اليهود الذين شكل قادة الصهيونية حركة ضخمة لجلبهم إلى فلسطين. وقام هؤلاء بتشكيل عصابات مسلحة تتولى حمايتهم وإغراء الفلسطينيين أصحاب الأرض بالمال أو إرهابهم بالسلاح للتخلى عن أراضيهم.

٩٨ـ أفرزت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ ظهور بريطانيا وفرنسا كأكبر قوتين فى العالم، أما الحرب العالمية الثانية فقد أفرزت عام ١٩٤٥ الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، وكان التحرك اليهودى سريعا للانتقال إلى أقدام القوة الجديدة أمريكا (بعد ذلك جلسوا على رأسها) مما كان من نتيجته قيام الأمم المتحدة التى أنشئت عقب الحرب بهدف حماية السلام ـ عندما عرض عليها الوضع الخاص لفلسطين ـ بإصدار قرار فى نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية (أعطيت ٥٦٪ من مساحة الأرض) ودولة عربية (أعطيت ٤٣,٥٪) ومدينة مدولة هى القدس (خصصت لها نصف فى المائة). ومن بين ٥٧ دولة كانوا يمثلون أعضاء الأمم المتحدة فى ذلك الوقت (حاليا يبلغ الأعضاء١٩٠ دولة) وافق على قرار التقسيم ٣٣ دولة ورفضته ١٣ (أفغانستان وكوبا ومصر واليونان والهند وإيران والعراق ولبنان والباكستان والسعودية وسوريا وتركيا واليمن) وامتنع ١١ عن التصويت. ومن المفارقات أن بريطانيا كانت من بين الدول التى امتنعت(!) أما بالنسبة لأمريكا والاتحاد السوفيتى فقد كانت أول مرة يوافقان فيها معا على قرار من الأمم المتحدة.

٩٩ـ رفض العرب قرار التقسيم وأعلنت بريطانيا أنها ستنهى مهمة انتدابها على فلسطين ليلة ١٥/١٤ مايو.. وفى خلال ذلك زاد اليهود من عمليات الإرهاب العنيفة التى راحوا يرتكبونها بصورة وحشية فى عدد من القرى العربية. وكان من أسوأ هذه المذابح وأشهرها مذبحة دير ياسين وهى قرية فلسطينية اقتحمتها يوم ١٩ أبريل ١٩٤٨ عصابات تسمى (أرجون) كان يقودها «مناحم بيجين»، وقد قامت بجمع سكانها صغارا وكبارا ونساء وأطلقوا عليهم النيران ثم بعد ذلك شوهوا أجسامهم وشقوا بطون بعضهم ليصعب التعرف عليهم ثم جمعوا الجثث التى بلغ عددها ٢٥٤ جثة وألقوها فى بئر القرية بعد أن جردوا أصحابها من ثيابهم. وفى كتابه (الثورة) قال بيجين إن هذه المذبحة كانت من المنجزات التى مهدت لإعلان قيام دولة إسرائيل!

٢٣ـ حرب فلسطين

١٠٠ـ فى منتصف ليلة ١٤/١٥ مايو ١٩٤٨ استكمل الإنجليز الذين كانوا يشرفون على فلسطين التمثيلية عندما غادر المندوب السامى البريطانى هناك ميناء حيفا معلنا انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين، وفى اللحظة نفسها أعلن دافيد بن جوريون رئيس الحكومة المؤقتة لإسرائيل قيام دولة إسرائيل بناء على قرار التقسيم دون أن يعلن أى حدود لها بما فى ذلك الحدود التى تضمنها قرار التقسيم، وفيما بعد قال بن جوريون إنه تعمد هذا التجاهل «لثقته أن الجيش الإسرائيلى هو الذى سيخطط هذه الحدود».

١٠١ـ كان إنشاء جامعة الدول العربية فى ٢٢ مارس ١٩٤٥ أول صورة من صور التنسيق العربى فى التاريخ (بدأت الجامعة العربية بين سبع دول هى: مصر والعراق وسوريا وشرق الأردن والسعودية ولبنان واليمن، وحاليا تضم ٢٢ دولة)، وقد اختلف العرب على قرار تقسيم فلسطين، وبالنسبة لمصر فقد صارح محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء فى ذلك الوقت مجلس النواب فى جلسة سرية عدم قدرة مصر على دخول حرب فى فلسطين لا تملك القوة التى تؤهلها لكسبها، وحتى يوم ١٣ مايو ١٩٤٨ لم يكن هناك قرار بإرسال قوات نظامية من الجيش المصرى إلى فلسطين، وكان المتفق عليه هو الاكتفاء بإرسال قوات فدائية ذهبت بالفعل إلى هناك منذ نهاية شهر أبريل برياسة القائمقام (عقيد) أحمد عبد العزيز الذى استشهد يوم ٢٢ أغسطس عندما أطلق عليه أحد الجنود المصريين النار ليلا لعدم تمكنه من الإجابة عن كلمة السر!

١٠٢ـ فى مساء ١٣ مايو ٤٨ تغير الموقف فى مصر بضغط من الملك فاروق، وتم جمع القوات المصرية على عجل للسفر إلى فلسطين... وقد راهن فاروق وضغط على النقراشى باشا رئيس الوزراء للاشتراك رسميا فى الحرب لتصوره ـ كما كان السائد فى ذلك الوقت ـ أن الانتصار على «عصابات اليهود» غير المستعدة عملية سهلة، الأمر الذى يضيف إلى فاروق زعامة عربية كان يتطلع إليها وكانت مصر فى ذلك الوقت أغنى الدول العربية.

١٠٣ـ وفى تصورى أن فاروق سعى إلى إشراك مصر رسميا فى الحرب لتخفيف حالة الاحتقان والعنف التى سادت مصر فى تلك الفترة وتوجيه الأنظار والمشاعر إلى قضية يمكن أن تستولى على عواطف المصريين، وهو ما تحقق بالفعل عندما تعلقت أبصار كل المصريين بجيشهم الذاهب إلى فلسطين لطرد العصابات الصهيونية.

ولم يكتف المصريون بالمشاعر العاطفية بل استجابوا بسرعة بالغة للدعوة التى انطلقت فى ذلك الوقت إلى التبرع بالمال أو الهدايا العينية. وكان من بين هذه الدعوات دعوة وجهها الكاتب محمد التابعى ناشد فيها المتزوجين والمخطوبين التبرع بخواتم الزواج الذهبية وبالفعل تجمعت عدة آلاف من هذه الخواتم فى أيام وحملت أرملة حليها فى منديل وقدمته مساهمة منها للمجهود الحربى.

١٠٤ـ على الورق بدا أن هناك ستة جيوش (مصر والأردن والعراق وسوريا والسعودية ولبنان) بعثت بها دولها لمعركة قومية، ولكن عمليا فقد كان هذا الاشتراك رمزيا وشكليا، وبعد نحو أسبوعين أصبح الجيش المصرى وحده فى حرب فقد فيها ١٠١ ضابط من بينهم ٣ برتبة قائمقام (عقيد) و٨ برتبة بكباشى (مقدم) و١٢ برتبة قائد أسراب جوية.

وقد انتهت هذه الحرب رسميا يوم ٢٦ فبراير ٤٩ بتوقيع اتفاق دائم للهدنة بين مصر وإسرائيل ـ عن طريق وسطاء الأمم المتحدة ـ فى الوقت الذى راحت فيه مجموعة من الضباط العائدين إلى الوطن تسأل نفسها: هل كانت الحرب هناك فى فلسطين، أم يجب أن تكون هنا فى مصر(*)؟!

(*) انتهت حرب فلسطين ٤٨ بتوقيع اتفاق هدنة دائمة بين مندوبين عن مصر وإسرائيل اجتمعوا فى جزيرة رودس بحضور رالف بانش كوسيط من هيئة الأمم المتحدة كان يقوم بالانتقال من الطابق الذى يقيم فيه المصريون بالفندق إلى الطابق الذى يقيم فيه الإسرائيليون وبالعكس حتى لايجتمع الاثنان معا. وفى يوم ٢٦ فبراير ١٩٤٩ بعد يومين من توقيع هذه الهدنة عاد إلى مصر أفراد اللواء الرابع الذى كان موجودا فى الفالوجة (على بعد ٤٠ كيلومترا من غزة و٧٥ كيلومترا من القدس) وكان اليهود قد فرضوا عليه حصارا كاملا استمر ١٣٠ يوما بهدف أسر كل افراده بأسلحتهم ولكنهم قاوموا كل وسائل الضغط وانسحبوا بعد اتفاق الهدنة بكامل اسلحتهم. وقد استقبل افراد هذا اللواء عند عودته إلى مصر بقيادة القائمقام السيد طه الذى اشتهر باسم الضبع الأسود استقبالا حافلاً.. وكان من بين أفراد هذا اللواء جمال عبد الناصر. كما كان من اخطر النتائج التى أدى إليها اشتراك الدول العربية فى الحرب بصورة رمزية استغلال إسرائيل الفرصة لإقناع العالم بأن كل العرب يحاربونهم ويريدون القضاء عليهم وانه للدفاع عن انفسهم يجب أن يمتلكوا سلاحا يفوق ما لدى العرب جميعا!

٢٤ـ وهكذا ضاعت فلسطين

١٠٥ـ عندما بدأت حرب فلسطين في ١٥ مايو ٤٨ كان ملايين المصريين البسطاء واثقين من أن قوات ستة جيوش عربية لابد أن تحقق النصر العظيم الذي يعيد الحق المسلوب لأصحابه، أما بالنسبة لأي مراقب على مستوى عادي من الفهم والتحليل فقد كانت واضحة الكارثة المروعة التي انتهت إليها هذه الحرب.

١٠٦ـ كانت الملاحظة الأولى أن الدول الست التي تظاهرت بالاشتراك في الحرب مخترقة إما من الإنجليز أو الفرنسيين الذين كانوا يستعمرونها ويعرفون جيدا كل أسرارها، إن كانت هناك أسرار!

وكانت الملاحظة الثانية أن العصابات اليهودية التي تصور الكثيرون جهلها بالقتال كانت على عكس كل القوات العربية جاهزة ومدربة في معارك حقيقية اشتركت فيها مع قوات الحلفاء في الحرب العالمية بينما القوات المصرية وكل القوات الأخرى العربية لم تجر أي مناورات أو تدريبات لثلاث سنوات على الأقل. وكانت الملاحظة الثالثة أن جميع الدول العربية كانت ولاتزال حتى اليوم تستورد احتياجاتها من السلاح، وبالتالي فإن قدراتها القتالية مرهونة بقدر ما تمنح أو تمنع الدول المنتجة والبائعة من أسلحة ونوعيات. ولقد كان من بين قرارات الأمم المتحدة عند تقسيمها فلسطين حظر بيع السلاح لطرفي النزاع (اليهود والعرب) كوسيلة ضغط لمنع الحرب بينهما، لكن بالنسبة لليهود فلقد كان حصولهم على السلاح ميسورا خاصة من أسواق الدول الاشتراكية وفي مقدمتها تشيكوسلوفاكيا. أما بالنسبة لمصر فقد كان الحصول على السلاح عملية صعبة خاصة، أن قرار دخول الحرب كجيش نظامي تم في ساعات، ولذلك كان سهلا أن تقع مصر فريسة السماسرة سواء بحسن أو سوء نية، وأن تقبل شراء ما يتاح أمامها من سلاح، وأن تظهر عيوب في بعضها، الأمر الذي أثار بعد انتهاء الحرب ما اشتهر بقضية الأسلحة الفاسدة التي ظلت تلاحق الملك فاروق في مقالات صحفية أثارها بشدة

الكاتب الراحل إحسان عبد القدوس، وكانت أيضا موضوعا ثابتا فى منشورات الضباط الأحرار فيما بعد وفى إنذار التنازل الذى وجه بعد ذلك إلى فاروق.

(وفى خلال حكم فاروق وفى مواجهة الضغوط والاتهامات التى وجهت فتح النائب العام التحقيق فى قضية الأسلحة الفاسدة ولكن دون التوصل إلى نتيجة. وبعد ثورة يوليو ٥٢ أثيرت من جديد قضية الأسلحة الفاسدة وقدم للمحاكمة اللواء عبد الغفار عثمان الذى كان قد حصل على أكثر من ترقية استثنائية ومنحه فاروق وشاح النيل واتهم بشراء بعض صفقات الأسلحة الفاسدة من إيطاليا وحكم عليه بعد الثورة بالسجن ١٥ سنة).

١٠٧ـ كان من بين الملاحظات الأخرى أن عدد ما حشدته الجيوش العربية الستة التى وقفت خمسة منها بلا قتال كان أقل كثيرا مما لدى اليهود، ففى مقابل ٣٧ ألف جندى عربى و٣٠ طائرة لدى العرب حشد اليهود ٨١ ألف مقاتل و٧٨ طائرة. إلا أن أغرب ملاحظة أن جميع الجيوش العربية التى ذهبت بمفهوم طرد اليهود من الأرض التى أعطاها لهم قرار التقسيم لم تقترب من هذه الأرض، وكانت النتيجة أن اليهود هم الذين تجاوزوا خط التقسيم ودخلوا الأرض المخصصة للعرب الفلسطينيين واستولوا على ٢٢٪ أضيفت إلى الـ٥٦٪ التى خصصت لهم، وبذلك خرج اليهود من حرب ٤٨ برفع علمهم على ٧٨٪ من كل فلسطين!

٢٥ـ طلاق ملكة

١٠٨ـ لم ينته عام ٤٨ بالنسبة للملك فاروق بهزيمة عسكرية قوضت أحلامه في زعامة عربية كان ينتظرها، بل أضيفت إليها هزيمة أخرى عائلية أفقدت فاروق البقية من رصيده الشعبي عندما صدر بيان يعلن «إن حكمة الله وإرادته اقتضت وقوع الانفصال بين الزوجين الكريمين» فاروق وفريدة.

١٠٩ـ كان فاروق قد تعرف لأول مرة بفريدة (أعطاها فاروق هذا الاسم بدلا من اسمها الأصلي صافيناز ذو الفقار) وهو في سن الخامسة عشرة - في حياة أبيه - عن طريق والدة فريدة التي كانت وصيفة لأمه الملكة نازلي.

(الوصيفة سيدة لصيقة بالملكة تجيد معرفة قواعد البروتوكول والاتيكيت، ومقتضيات كل مناسبة تحضرها الملكة، وتعتبر مستشارتها الأولى، وفي العادة تكون هناك أكثر من وصيفة ولكل منهن مهام مختلفة).

١١٠ـ تعترف فريدة بأنها أحبت فاروق الذي كان في بداية حياته رقيقا وعطوفا وحنونا، وبعد أن أصبح ملكا ذهب فاروق إلى بيت فريدة، وطلب يدها من أبيها... وكان تعليق الأب لزوجته أم فريدة بعد أن خرج فاروق: ده اسمه لعب عيال... فقد كانت سن فريدة ١٦ سنة وفاروق ١٨ سنة، وبعد إلحاح وافق الأب على إعلان خطبة تمتد عدة سنوات، ولكن فاروق أتم الزواج يوم الخميس ٢٠ يناير ١٩٣٨ بعد ستة أشهر فقط، وقد سعدت مصر بهذا الزواج الذي اعتبرته فرحا لكل بيت انعكس في زينات الكهرباء على معظم البيوت.

١١١ـ في ١٧ نوفمبر ١٩٣٨ أنجبت فريدة أولى بناتها فريال، وقالت الملكة نازلي لفريدة أمام الأميرات والوصيفات: انا جبت لفؤاد ولي العهد لما نشوف انت حتجيبي إمتى لفاروق ولي العهد! ولم تكن هناك في ذلك الوقت الوسائل الحديثة التي تكشف جنس المولود، ولم يقدر لفريدة إنجاب ولي العهد، وإنما أنجبت فوزية (في ٧ أبريل ١٩٤٠) وفادية (في ١٥ ديسمبر ١٩٤٣) وقبل ولادة فادية كان كل ما بين فريدة وفاروق باعترافها قد انقطع.

١١٢ـ كان فاروق قد سلم نفسه لحياة ماجنة من السهرات والنساء والقمار، وقد وجد من أميرات الأسرة من توفرها له، بالإضافة إلى سيطرة «كتيبة الفساد» كما كانت تسميها فريدة، وكانت تضم إلى جانب أحمد حسنين رئيس ديوانه (مات فى حادث سيارة عام ١٩٤٦) مجموعة الايطاليين «بوللى» وقد بدأ كهربانيا فى القصر عام ١٩٢٢ فى عهد فؤاد، وعرف فاروق منذ ولادته وتقرب إليه بأساليب خاصة جعلته المسئول عن شئونه الخصوصية، وجارو (الحلاق) وبترو (مساعد الحلاق) وكفانت (مدرب الكلاب)، وبعد تصرفات عديدة ضاقت بها فريدة طلبت الطلاق، وذهب فاروق إلى شيخ الجامع الأزهر فى ذلك الوقت الشيخ محمد مصطفى المراغى (توفى عام ١٩٤٥) يطلب إصدار فتوى بتحريم زواج فريدة بعد طلاقها من رجل آخر باعتبارها ملكة، ولكن شيخ الأزهر رفض، فأجل فاروق إعلان الطلاق رسميا إلى نوفمبر٤٨ ليضيف مساحة جديدة إلى الفجوة التى باعدت بينه وبين الشعب.

وقد دهش فاروق لرد فعل الشعب المصرى بعد إعلان بيان انفصاله بالطلاق عن فريدة، فرغم أن شائعات كثيرة ترددت عن علاقة لفريدة بالشاب وحيد يسرى زوج الأميرة سميحة حسين ابنة السلطان حسين كامل الذى خلفه فؤاد، وكان فاروق نفسه أكثر من روَّج لهذه الشائعة فى محاولة لتشويه صورة الملكة فى عيون الشعب، إلا أن التقارير التى وصلت إلى فاروق بعد طلاقه من فريدة نقلت ترديد الشعب عبارة: خرجت الطهارة ودخلت الدعارة. إشارة إلى أن فريدة كانت تمثل الجانب الطاهر في قصر الملك وبخروجها منه أصبحت أبواب القصر مستباحة للغوانى والعشيقات!

وقد صمم فاروق قبل إعلان طلاقه من فاروق أن تسلم فريدة التاج الذى كان فى عهدتها مع باقى المجوهرات التى سبق أن أهداها إليها فى مناسبة الزواج باعتبار أن كل ذلك من المتعلقات الملكية. وبالفعل قامت فريدة وسلمت رسول الملك الذى أبلغها بهذه المطالب كل ما طلبه فاروق.. ولكن الغريب أن هذا الرسول كان أنطون بوللى خبير الشئون الخاصة جدا لفاروق ولعل فاروق قد قصد من إرساله بوللى إليها إبلاغها أنها لاتختلف كثيرا عن اللائى يحمل إليهن بوللى رسائل الملك وإن كانت رسائله إلى الأخريات تختلف كثيرا عن رسالته إلى فريدة!

٢٦ـ مقاومة الإنجليز

١١٣ـ بانتهاء حرب فلسطين لم يعد فاروق فى نظر الكثيرين من المصريين الملك المنحرف أخلاقيا وإنما أيضا الفاسد خلقيا وسياسيا. وفى محاولة للحصول على كسب شعبى استدار فاروق ناحية الوفد رغم كراهيته له فاستدعى حسين سرى (مهندس رى من مواليد ١٨٩٢ كان وزيرا فى عدة وزارات سابقة وتولى رئاسة الوزارة لأول مرة فى الوزارة التى خلفها الوفد فى حادث ٤ فبراير ١٩٤٢). أجرى حسين سرى انتخابات جديدة نزيهة اكتسحها الوفد (حصل على ٢١٩ مقعدا من ٢٢٨) وعاد الوفد إلى الحكم بعد طول حرمان وشكل مصطفى النحاس وزارته الخامسة دون أن يعرف أنها ستكون أيضا الأخيرة.

١١٤ـ كان محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء الذى أنهى الإخوان المسلمون حياته بالاغتيال (فقرة ٩٢) قد حاول من أجل الحصول على استقلال مصر كاملا تجربة مجلس الأمن الذى يمثل الجهاز التنفيذى للجمعية العمومية للأمم المتحدة فحمل مطالب مصر إلى أعضاء المجلس وألقى أمامهم خطابا تضمن حق مصر فى الجلاء الكامل، ولكن بعد عدة جلسات عقدها المجلس، وقد تبين أنه تحت سيطرة القوى الاستعمارية لم يوفق المجلس فى التوصل إلى أى اقتراح ينال أغلبية أصواته، الأمر الذى أدى إلى تعليق قضية جلاء الإنجليز عن مصر دون حل. فلما تولى النحاس باشا الوزارة حاول مفاوضة الإنجليز حول الشروط التى تحفظوا عليها فى معاهدة ٣٦ التى وقعها معهم. ولكن وبعد جولات من المفاوضات استمرت ١٩ شهرا (من مارس ١٩٥٠ إلى سبتمبر ١٩٥١) أكد أن هذه المفاوضات تمضى فى طريق مسدود.

١١٥ـ فى الثامن من أكتوبر ١٩٥١ فاجأ مصطفى النحاس الإنجليز والمصريين معا عندما أعلن فى مجلس النواب إلغاء معاهدة ١٩٣٦، وقال عبارته الشهيرة

«من أجل مصر وقعت هذه المعاهدة عام ٣٦، ومن أجل مصر أعلن اليوم إلغاءها»(*).

١١٦- استقبلت الأمة إلغاء المعاهدة استقبالا حافلا، وبدأت صحوة جديدة جمعت وحدة الأمة.. فقد أصبح الإنجليز بعد إلغاء هذه المعاهدة بمثابة قوات احتلال غير شرعية ومن حق الشعب مقاومتها.. ولما كانت معسكرات القوات الإنجليزية قد انحصرت فى منطقة القناة تنفيذا لبنود المعاهدة (انظر الفقرة رقم ٧٣) فقد اتجهت عيون المصريين إلى هذه المنطقة باعتبار أنها منطقة الحرب ضد الإنجليز..

١١٧- فى خلال أيام قليلة تفجر بركان المشاعر الوطنية بغير تخطيط أو تجهيز.. انسحب نحو ٤٠ ألف عامل مصرى كانوا يقومون بالخدمة فى هذه المعسكرات، وتعطلت المرافق التى تخدم ٨٠ ألف جندى بها، وامتنع عمال الشحن والتفريغ المصريون عن تفريغ حمولة السفن البريطانية فى موانئ القناة، وامتنع الزراع والتجار عن بيع قوات الاحتلال حاجتهم من السلع المختلفة رغم الأرباح التى يحققونها... ومن يوم ١٦ أكتوبر ولمدة ١٠٠ يوم متواصلة استمرت أعمال المقاومة والفدائيين ضد الإنجليز الذين مارسوا المجازر الوحشية ضد الشعب ثم أيضا.. ضد رجال البوليس.

وفى الوثائق الغربية التى أذيعت عن هذه الفترة تبين أنه كان هناك تنسيق بين

(*) روى كريم ثابت فى كتابه «فاروق كما عرفته» أن مصطفى النحاس باشا كان قلقا من امتداد الدورة البرلمانية إلى نهاية شهر سبتمبر، فى حين أنه يجب فض هذه الدورة دستوريا حتى يدعى المجلس للاجتماع فى دورة جديدة فى الأسبوع الثالث من شهر نوفمبر. ولما كانت المباحثات التى كانت تجرى مع الإنجليز فى ذلك الوقت لم تحقق أى تقدم، فقد دعا مصطفى النحاس فؤاد سراج الدين (وزير الداخلية والرجل الثانى فى الوفد) ومحمد صلاح الدين (وزير الخارجية) وإبراهيم فرج (وزير الدولة) للتشاور فيما يمكن عمله، وكان رأى فؤاد سراج أنه إذا أجل الوفد إعلان قراره بإلغاء معاهدة ٣٦ فهناك احتمال أن يقيل الملك الوزارة فى خلال الإجازة البرلمانية فيكون الوفد قد ضيع من يده فرصة لاتعوض، وأنه لذلك يرى ضرورة أن يعلن الوفد إلغاء المعاهدة. ووافق النحاس باشا وفؤاد سراج على هذا التحليل وتم تكليف محمد صلاح الدين بإعداد مشروعات الإلغاء وقد استعان فى ذلك بالدكتور وحيد رأفت مستشار وزارة الخارجية فى ذلك الوقت. وقرر النحاس باشا أن يدعو مجلس الوزراء إلى الاجتماع يوم ٧ أكتوبر ليبلغه بالقرار الذى سيعلنه فى اليوم التالى فى البرلمان. وبعد أن نال النحاس موافقة جميع الوزراء على قراره شدد عليهم فى ضرورة تكتم الموضوع. وفى صباح اليوم التالى الاثنين ٨ أكتوبر اتصل مصطفى النحاس - وكان مايزال فى الاسكندرية - بحسن باشا يوسف رئيس الديوان الملكى بالنيابة ودعاه لمقابلته «لأمر مهم وعاجل». وفي هذا اللقاء سلم النحاس حسن باشا يوسف المراسيم الخاصة بتشريعات إلغاء المعاهدة حتى يوقعها جلالة الملك. وقال النحاس لحسن يوسف أنه إذا لم يتلق منه حتى موعد اجتماع البرلمان خبر توقيع الملك لهذه المراسيم فإنه سيعلن فى بيانه أمام البرلمان أنه أرسلها إلى القصر وأنه فى انتظار أن يتفضل جلالة الملك بإمضائها بين لحظة وأخرى. وسافر النحاس إلى القاهرة بقطار الظهر. وعلى إثر وصوله إلى منزله اتصل به =

الدول الثلاث: الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا حول ما يمكن اتخاذه، وأن الحكومة البريطانية أبلغت واشنطن وباريس بمضمون خطتين لمواجهة أية تطورات متصاعدة، وكانت الخطة الأولى تقضى باحتلال محافظات القناة الثلاث (بورسعيد والإسماعيلية والسويس) وإعلان حكم عسكرى فيها يتحول عند اللزوم إلى حكومة عسكرية تفصل المحافظات الثلاث عن باقي مصر، أما الخطة الثانية فهى تشمل احتلال دلتا النيل ودخول القاهرة إذا وصل الأمر إلى تهديد حياة ومصالح الأجانب والأقليات فى القاهرة.

= حسن يوسف تليفونيا من الاسكندرية وابلغه ان الملك وقع المراسيم (وعلى بركة الله).. واضاف حسن يوسف ان محمد شلبى مدير الإدارة العامة بالديوان الملكى سافر إلى القاهرة بالسيارة للاستعجال ليسلم النحاس باشا المراسيم الموقعة، وبالفعل وصل محمد شلبى مقر البرلمان فى اللحظة التى وصل فيها النحاس إليه فسلمه المراسيم، وقام النحاس بالإعلان عنها فى البرلمان وسط مظاهرة حافلة.

وقد طلب سفراء بريطانيا وأمريكا وفرنسا وتركيا بعد ذلك لقاء وزير الخارجية محمد صلاح الدين وقدم إليه كل منهم مذكرة بالمقترحات التى اتفقت حكومات الدول الاربع على تقديمها للحكومة المصرية تفاديا للأزمة التى وقعت مع الحكومة البريطانية، وقد بحث النحاس واللجنة السياسية بمجلس الوزراء الاقتراحات المقدمة من الدول الاربع وخرجت من بحثها بأنها (تؤخرنا ولا تقدمنا) وأن التسليم بها معناه (انه بدلا من أن تكون محتلين من دولة واحدة نقبل ان تحتلنا اربع دول) وتقرر رفض هذه المقترحات رفضا باتا فى كتاب مختصر مقتضب العبارة سلم صلاح الدين نسخة منه لكل من سفراء الدول الاربع.

٢٧ ـ القاهرة تحترق

١١٨ ـ اشتعلت مدن القناة الثلاث، بورسعيد والإسماعيلية والسويس، التى تتمركز فيها ثكنات ومعسكرات قوات الاحتلال الإنجليزى بالمظاهرات وعمليات المقاومة التى سقط فيها عدد كبير من الشهداء والجرحى، بينما صعد الإنجليز عمليات الانتقام، فأزالوا – من أجل السيطرة على الطريق المؤدى إلى خزان المياه الذى يمدهم بماء الشرب – قرية بأكملها تضم ١٥٦ بيتا ويسكنها ألفا نسمة، هى قرية كفر عبده، ورغم ذلك ظل التصعيد إلى أن وقعت مجزرة الإسماعيلية.

١١٩– فى الساعة السادسة من صباح الجمعة ٢٥ يناير ١٩٥٢ قام البريجا دير أكسهام قائد القوات البريطانية بمنطقة الإسماعيلية بتسليم البكباشى شريف العبد ضابط الاتصال المصرى مع القيادة البريطانية إنذاراً طلب فيه تسليم أسلحة جميع قوات البوليس من بلوكات النظام وغيرهم الموجودين بالإسماعيلية وجلاء هذه القوات مجردة من أسلحتها فى الساعة السادسة والربع من صباح ذلك اليوم ورحيلها عن منطقة القنال جميعها. وقد أبلغ ضابط الاتصال هذا الإنذار إلى اللواء أحمد رائف قائد بلوكات النظام وإلى على حلمى وكيل المحافظة فرفضاه. ثم اتصلا على الفور، بفؤاد سراج الدين وزير الداخلية وأبلغاه الأمر فأقرهما على موقفهما وطلب إليهما عدم التسليم. وبعد دقائق عاد القائد البريطانى وأبلغ قائد البوليس المصرى بأنه إذا لم تسلم قوات البوليس أسلحتها فورا فستهدم دار المحافظة على من فيها. وقد أصر القائد المصرى على رفض التسليم وبعد دقائق نفذ البريطانيون إنذارهم وضربوا دار المحافظة وثكنات القوات بالمدافع والقنابل. ورغم أن قوات الإنجليز كانت تبلغ سبعة آلاف جندى مسلحين بالدبابات الثقيلة والمصفحات والمدافع بينما قوات البوليس عددها ٨٨٠ جنديا وليس لديهم من السلاح سوى البنادق القديمة فقد قاوم جنود البوليس ولم يتوقفوا عن إطلاق النار حتى نفدت آخر طلقة لديهم بعد أن استمرت المعركة ساعتين. وعندئذ اقتحمت الدبابات البريطانية ثكنات البوليس

وأسرت من بقى حيا منهم.. أما القوة الأخرى التى كانت موجودة فى المحافظة (٨٠ جنديا) فقد أنذرهم الإنجليز بنفس مبنى المحافظة إذا لم يستسلموا فأجابهم اليوزباشي مصطفى رفعت: لن تتسلمونا إلا جثثا هامدة. واستمروا فى مقاومتهم حتى نفدت ذخيرتهم.

١٢٠ـ كانت نتيجة هذه المذبحة استشهاد ٥٠ من رجال البوليس وإصابة ٨٠، ورغم البنادق القديمة التى كان المصريون يواجهون بها مدافع الدبابات والمصفحات، فقد أعلنت القيادة الإنجليزية مقتل ١٣ من الإنجليز وإصابة ١٢ آخرين.

١٢١ـ وصلت الأخبار إلى القاهرة، وكان أول رد فعل غضب جنود بلوكات النظام فى العباسية وخروجهم صباح اليوم التالى «السبت ٢٦ يناير» فى مظاهرات احتجاج. وخرجت مظاهرات متفرقة من الطلبة والمواطنين مرت إحداها بميدان الأوبرا عندما شاهد أحد أفرادها أجنبيا يشرب الخمر فى شرفة كازينو بديعة الذى كان موجودا بجوار سينما أوبرا، وعندما طلب منه مراعاة شعور المصريين غضب الأجنبى، فقامت مشادة امتدت خلالها يد وأشعلت النار فى الكازينو. ومن الأوبرا امتدت النيران إلى محال ومنشآت عديدة شملت فى آخر اليوم ٣١٨ محلا، و٩٢ بارا، و١٣ فندقا، و٤٠ دار سينما، و٧٣ مقهى ومطعما، وعددا آخر من المنشآت ولم تستقر الأمور إلا بعد أن نزل الجيش وسيطر على منطقة وسط القاهرة اعتبارا من الخامسة والنصف مساء(*).

١٢٢ـ كان فاروق قد حقق أمنيته الغالية فى إنجاب ولى العهد من زوجته الثانية ناريمان صادق التى ذهبت إلى محل نجيب الجواهرجى لاختيار خاتم الشبكة بعد

(*) امتدت حوادث إشعال النيران والإتلاف والنهب إلى الشوارع والميادين التالية: ميدان إبراهيم باشا (الأوبرا) شارع فؤاد (٢٦ يوليو) شارع إبراهيم باشا (الجمهورية) شارع عدلى. شارع قصر النيل. شارع سليمان باشا (طلعت حرب). شارع عبدالخالق ثروت. ميدان مصطفى كامل. شارع شريف. شارع رشدى. شارع جامع شركس. شارع البستان. شارع محمد فريد. شارع عماد الدين. شارع نجيب الريحانى. شارع محمد بسيونى. شارع البورصة الجديدة. شارع توفيق (عرابى) ميدان التوفيقية عرابى. شارع جلال. شارع الملكة نازلى (رمسيس) ميدان الإسماعيلية (التحرير). شارع الخديو إسماعيل (التحرير). شارع الشواربى. شارع الفلكى. شارع محمد صدقى. سكة المغربى. شارع الإنتكخانة. شارع شامبليون. شارع الألفى.ميدان حليم باشا. شارع حليم. شارع كامل صدقى (الفجالة). شارع الظاهر. شارع محمود فهمى المعمارى. ميدان باب الحديد. شارع المهرانى. شارع المهدى. شارع خليج الخور. شارع محمد على (القلعة) شارع الأهرام (حيث أحرق أوبرج الأهرام وكازينو صوفر وكازينو كوفند حاردون).

أن تم اتفاق أسرتها على زواجها من الشاب محمد زكى هاشم المندوب بمجلس الدولة والذى كان منتدبا بهيئة الأمم المتحدة: (أصبح فيما بعد من ألمع المحامين وتولى وزارة السياحة عام ١٩٧٢). وكان قد تم بالفعل تحديد عقد قران ناريمان ومحمد زكى هاشم ووزعت بطاقات الدعوة على أهل العروسين «لحضور الحفلة الساهرة المقامة بهذه المناسبة يوم الخميس ١٨ صفر ١٣٦٩ الموافق ٨ ديسمبر ١٩٤٩» بمنزل العروسين رقم ٤ شارع فؤاد الأول بمصر الجديدة. وقد أهدانى الأستاذ صلاح حافظ نائب رئيس هيئة البترول ومدير شئون حماية البيئة سابقا بطاقة الدعوة التى أرسلت إلى والدته فى هذه المناسبة التى لم تتم بسبب تعلق فاروق بناريمان وزواجه منها فى ٦ مايو ١٩٥١ فى مناسبة مرور ١٥ سنة على توليه بعد أن قام بخطبتها رسميا فى ١١ فبراير في مناسبة عيد ميلاده (وصوله ٣١ سنة فى هذا اليوم).

وفى ١٦ يناير ١٩٥٢ أنجبت له أحمد فؤاد. وقد اعتبرت الحكومة يوم ١٧ يناير أجازة رسمية لأن السادس عشر كان يوم جمعة. وعطلت الدراسة فى الجامعات والمدارس. وقدمت الحكومة منحة عشرة جنيهات لكل مولود فى يوم ١٦ يناير ١٩٥٢ وإطعام ١٠٠ ألف فقير. واحتفالا بهذه المناسبة قرر الملك إقامة أربع مآدب ملكية الأولى فى يوم ١٩ يناير لأفراد الأسرة المالكة، والثانية فى ٢١ يناير للوزراء وممثلى مجلس البرلمان، والثالثة يوم ٢٣ يناير لرجال الدين، أما الرابعة والأخيرة فقد تحدد لها الواحدة ظهر يوم السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢ لقادة الجيش والشرطة، وكان من بين المدعويين لهذه المأدبة جمال عبدالناصر وثروت عكاشة وعن ذلك يقول ثروت عكاشة فى مذكراته فى السياسة والثقافة.

(من الطريف أننى كنت وجمال عبدالناصر من بين الضباط الذين دعوا إلى وليمة الغداء التى أقامها الملك بقصر عابدين احتفاء بمولد ولى عهده يومذاك، وحين خرجنا من الوليمة وجدنا القاهرة تشتعل فيها الحرائق هنا وهناك. فقصدت وجمال إلى منزلى بثكنات العباسية حيث انضم إلينا فى غروب يوم ٢٦ يناير صلاح سالم وعبدالحكيم عامر ومجدى حسنين وأخذنا نتداول فيما يجب علينا فعله، وكان التفكير فى التعجيل بموعد الانقلاب ليتم هذا العام).

وقد كان من اللائق فى الظروف التى سبقت يوم مأدبة ٢٦ يناير ٥٢ الملكية

وما جرى فى الإسماعيلية أن يعلن الملك فاروق عن تأجيل المأدبة مراعاة للمشاعر ولكنه لم يفعل.. وهكذا عاشت مصر يوم ٢٦ يناير بانوراما درامية متناقضة، بين عاصمة تحترق، وشعب ينظر وينتظر، وملك فى قصره يحتفل، و٥٠ شهيدا من بوليس الإسماعيلية تدفنهم أسرهم.. ولابد أن أبواب السماء استجابت لدعاء أم واحد من هؤلاء الشهداء.. فلم يقدر لفاروق أن يستمر ملكا، ولا أن يجلس على العرش بعده!.

٢٨ ـ فوضى وزارية

١٢٣- في حوالى العاشرة مساء السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢ وبعد اجتماع عاجل دعا إليه مصطفى النحاس رئيس الحكومة الوزراء في بيته بجاردن سيتي أعلنت الحكومة الأحكام العرفية ووقف الدراسة، ومنع التجول اعتبارا من السادسة مساء. وكان هذا آخر قرار اتخذه الوفد في الحكم عندما تلقى النحاس باشا (خطابا مهذبا) هذه المرة من فاروق استخدم فيه كلمة (إعفاء) بدلا من (إقالة) التي استخدمها مرتين الأولى عام ١٩٣٧ والثانية عام ١٩٤٥.

١٢٤- شهدت مصر على مدى الشهور الستة التالية (من فبراير إلى يوليو) حالة من الفوضى الوزارية لم تحدث من قبل حين تتابعت عليها خلال هذه الفترة أربع وزارات كانت أولاها برياسة على ماهر الذى جاء به فاروق للتنكيل بالوفد وحل برلمانه، ولكن على ماهر رغم كراهيته للوفد اختار سياسة التهدئة معه فأقاله فاروق بعد ٣٠ يوماً، وكانت الأوضاع قد هدأت في منطقة القناة، وكلف بتشكيل الوزارة عدوا آخر للوفد هو نجيب الهلالى.

١٢٥- كان نجيب الهلالى (من مواليد ١٨٩١ وتوفى عام ١٩٥٨) من أقطاب الوفد في شبابه وتولى وزارة المعارف (التعليم حاليا) ثلاث مرات آخرها في حكومة الوفد الشهيرة في فبراير ١٩٤٢، لكنه اختلف مع مصطفى النحاس حول عدد من القرارات اعتبرها الهلالى خروجا على مبادئ الوفد في النزاهة، وخرج هو من الوزارة ومن الحزب دون أن يخفي عداءه لرئيسه. فلما تولى رياسة الوزارة لأول مرة في مارس ١٩٥٢ قرر فتح ملفات المحسوبيات والاستثناءات التى كان يعارضها إلا أنه وجد استحالة في تتبع آثار كل محسوبية أو استثناء فأصدر في أول أبريل ١٩٥٢ قرارا بإلغاء جميع الترقيات والعلاوات والأقدميات الاستثنائية التى سبق منحها من ٨ أكتوبر ١٩٤٤ - قبل ٨ سنوات - أى منذ حكومة الوفد في فبراير ١٩٤٢ التى استقال منها.

١٢٦- كان من بين الملفات التى فتحها الهلالى ملف خاص بأكبر مليونيرات مصر فى ذلك الوقت أحمد عبود الذى كان يعمل فى عدة مجالات منها مصانع إنتاج السكر، وقد اكتشف الهلالى وجود ستة ملايين جنيه متأخرة للخزينة على هذه المصانع من رسوم إنتاج السكر ومهددة بالتساقط فألح فى تحصيلها، ولكن عبود باشا استطاع عن طريق بعض أفراد حاشية الملك دفع مليون جنيه ثمنا لإخراج نجيب الهلالى من الحكم وإغلاق ملف الملايين الستة المطلوبة منه!

١٢٧- خلف الهلالى المهندس حسين سرى الذى استقال بعد ٢٠ يوما عندما فوجئ بقرار فاروق حل مجلس إدارة نادى الضباط دون إبلاغ رئيس الوزراء، فعاد فاروق وكلف نجيب الهلالى للمرة الثانية بتولى الوزارة يوم ٢٢ يوليو، وكانت هذه الوزارة أقصر الوزارات عمرا إذ لم تستمر سوى بضع ساعات.

٢٩ـ الضباط الأحرار

١٢٨- منذ ألغى الخديو توفيق الجيش المصرى وتولى الإنجليز شئونه اقتصرت مهامه - بعد تقليص عدد أفراده - على الظهور فى المناسبات الحزينة والسعيدة وأشهرها موكب المحمل، وكانت مصر منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب قد تكفلت على نفقتها تصنيع الكسوة التى تغطى جدران الكعبة الشريفة إلا أنه منذ عام ١٨٩٢ أمر الخديو عباس حلمى الثانى بالاحتفال بسفر الكسوة على محمل، وقد استمر هذا التقليد حتى عام ١٩٦١ عندما توقفت مصر عن تصنيع الكسوة.

١٢٩- تغيرت الأوضاع بالنسبة للجيش بعد معاهدة أغسطس ١٩٣٦ وما اقتضته من إلغاء منصب السردار وتولى مصر شئون جيشها وزيادة عدده مما اقتضى فتح الكلية الحربية لحملة التوجيهية (الثانوية العامة) بصرف النظر عن طبقتهم الاجتماعية أو المالية كما كان الأمر من قبل. وقد نتج عن ذلك تخرج جيل من الضباط توالى عليه وعلى بلده عدد من الأحداث التى أثرت وتأثر بها اعتبارا من الحرب العالمية إلى حرب فلسطين وحوادث العنف والاغتيالات وحكايات الفساد التى انتشرت مما كان طبيعيا أن تجذب تعليقات الضباط. ولكن لطبيعة الجيش فقد كان ضروريا أن تقتصر المناقشات بين مجموعات مترابطة أساسها علاقات الصداقة مما أدى إلى ظهور جيوب متناثرة داخل الجيش بعضها استمر كما حدث بالنسبة لتنظيم الضباط الأحرار وبعضها فرقته حركة التنقلات.

١٣٠- رغم ظهور أكثر من جماعة داخل الجيش إلا أن تنظيم جمال عبدالناصر الذى بدأه فى سبتمبر ١٩٤٩ كخلية واحدة من ستة أفراد (جمال وعبدالحكيم عامر وعبدالمنعم عبدالرؤوف وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم وخالد محيى الدين) كان أول تنظيم تكتمل له مقومات العمل السرى المنظم. فقد أصبح على كل عضو أن يجند خلية أخرى وكل عضو من هذه الخلية يشكل بدوره خلية وهكذا.. وأصبح للتنظيم هيئة تأسيسية تمثل قيادة التنظيم يرأسها رئيس يتم اختياره بالانتخاب.. ولم يحدث منذ بدء التنظيم أن انتخب لرئاسته عضو آخر غير جمال عبدالناصر..

وفيما بعد أخذ التنظيم اسم «الضباط الأحرار» والذى اقترحه العضو جمال منصور لاستخدامه أساسا في توقيع المنشورات التى تركز نشاط التنظيم على إصدارها ضد الملك، وبعد ذلك اشتهر هذا الاسم.

١٣١- كان عدد من الضباط ومنهم جمال عبدالناصر فى عملية البحث قد اتصلوا بعدد من الأحزاب والتيارات الموجودة فى الساحة ومنهم من تأثر بها مثل عبدالمنعم عبدالرؤوف (بالإخوان) وخالد محيى الدين (بالشيوعيين)، أما جمال عبدالناصر فقد اتصل فى بداية شبابه بجماعة مصر الفتاة لكنه وجدها كما قال (صوت عال لا يحقق شيئا واضحا) وتعرف بعد ذلك على عدد من قادة الفكر الشيوعى أعجب ببعضهم، كما اتصل بالإخوان المسلمين لكنه عندما فاتحهم فى تنظيم عسكرى داخل الجيش شعر برغبتهم فى احتوائه، الأمر الذى جعله يقرر ألا يتبع تنظيم الضباط الأحرار أى حزب أو جماعة بصرف النظر عن انتماءات أعضاء الضباط الفكرية.

٣٠ - معركة النادى

١٣٢- قرب نهاية شارع فؤاد (٢٦ يوليو حاليا) ناحية كوبرى الزمالك أقيمت فيللا لسكن سردار الجيش الإنجليزى الذى كان يرأس الجيش المصرى، فلما رحل تنفيذاً لمعاهدة ١٩٣٦ اخر سردار هو الفريق بنكس تقرر تحويل الفيللا إلى نواة لنادى الضباط المصريين. ورغم أن لائحة هذا النادى كانت تقضى بأن ينتخب كل سلاح فى الجيش مجموعة من ضباطه تمثل سويا الجمعية العمومية التى تقوم بانتخاب مجلس إدارة النادى . إلا أنه عمليا لم يشهد النادى منذ إنشائه عام ١٩٤١ أية انتخابات، فقد كانت رئاسة الجيش تتولى اختيار جميع الأسماء سواء على مستوى الجمعية العمومية أو مجلس الإدارة.

١٣٣- وضع تنظيم «الضباط الأحرار» هدفا له وقف عملية التعيين وتشكيل مجلس إدارة النادى بالانتخاب فى وقت تصادف أن أمر فيه الملك فاروق بفرض اللواء حسين سرى عامر لدخول مجلس إدارة النادى.

١٣٤- كان الأميرالاى حسين سرى عامر يشغل منصب وكيل سلاح الحدود الذى كانت مهمته مطاردة مهربى المخدرات والقبض عليهم.

وفى الوقت الذى اشتهر فيه قائد السلاح اللواء محمد نجيب بالنزاهة والنشاط البالغ فى اقتفاء أثر المهربين، الأمر الذى أزعج «الرؤوس الكبيرة» التى توجه تلك العمليات فإن حسين سرى عامر على العكس كان يمثل صورة سيئة للفساد والوصولية، الأمر الذى مكنه من إقامة علاقات قوية مع رجال القصر وعلى رأسهم شماشرجى الملك (خادمه الخاص) محمد حسن السليمانى.

ولما رفع اللواء محمد نجيب تقريرا وصل إلى الملك يضم عددا كبيرا من المخالفات التى اتهم بارتكابها حسين سرى عامر طالبا نقله من الحدود، فقد أمر فاروق بنقل محمد نجيب إلى سلاح المشاة، وترقية حسين سرى عامر إلى رتبة لواء وتوليه قيادة سلاح الحدود... وبذلك أصبح حسين سرى عامر رجل الملك الأول.

وقد حاول محمد نجيب تقديم استقالته لكنه تعرض لضغط من الضباط الذين عرفوه فاستجاب لضغطهم ولم يقدم استقالته الثانية احتجاجا على تصرف الملك فاروق، وكانت الاستقالة الأولى عام ١٩٤٢ احتجاجا على تصرف الإنجليز ضد الملك فاروق والإنذار الذى وجهوه إليه ومحاصرة قصر عابدين بدباباتهم.

١٣٥- فى الانتخابات التى جرت مساء ٣١ ديسمبر ١٩٥١نجح الضباط الأحرار رغم أن عددهم لم يتجاوز فى ذلك الوقت من ٦٠ إلى ٧٠ ضابطا فى نجاح قائمتهم وعلى رأسها اللواء محمد نجيب رئيسا للنادى. ورغم محاولات الملك فاروق ضم حسين سرى عامر إلى مجلس الإدارة الجديد مع عدم قانونية ذلك إلا أن محاولاته تكسرت أمام صمود محمد نجيب الذى رفض أن يصدر مجلس الإدارة قراراً بتعيينه.

وفى السادس من يناير كتب حسين سرى عامر مقالا فى إحدى الصحف هاجم فيه بعنف تنظيم الضباط الأحرار. وفى مساء يوم ٨ يناير - بعد يومين - بينما كان حسين سرى عامر فى طريقه إلى منزله بحى الزيتون قادماً من نادى الضباط بالزمالك. وماكادت سيارته تقف أمام الفيللا التى يسكنها حتى تعرض لإطلاق النار إلا أن الرصاص لم يصبه وأصيب الأومباشى قائد السيارة. وقد اتهم حسين سرى عامر اليوزباشى مصطفى كمال صدقى وضابط ملازم اسمه عبدالقادر طه كانا ضمن تنظيم الحرس الحديدى الذى كونه الملك فى فترة سابقة لحمايته ثم انشق عليه. إلا أنه لم يقم دليل على ثبوت اتهام مصطفى كمال صدقى وزميله عبدالقادر طه الذى لقى مصرعه يوم ٢٤ مارس على يد جماعة مجهولة أطلقت عليه الرصاص أثناء عودته إلى بيته فى شارع الأخشيد بالروضة على نفس الطريقة التى جرت لمحاولة اغتيال حسين سرى عامر. وفيما بعد الثورة تبين أن الذى دبر محاولة اغتيال حسين سرى هو جمال عبدالناصر (أشار عبدالناصر إلى ذلك فى كتابه فلسفة الثورة) بالاشتراك مع كمال رفعت وحسن التهامى وحسن إبراهيم وقد تولى كمال رفعت والتهامى إطلاق النار وحسن إبراهيم المراقبة، أما جمال عبدالناصر فكان يقود عربته الأوستن الصغيرة وينتظر المجموعة فى شارع مجاور.

١٣٦- فى يوم ١٦ يوليو ١٩٥٢ وبناء على توجيهات الملك فاروق أصدر مدير إدارة الجيش (اللواء عباس زغلول) أمرا بتعليمات من القائد العام بحل مجلس

إدارة نادى الضباط وتعيين مجلس إدارة مؤقت برياسة اللواء على نجيب (شقيق اللواء محمد نجيب) وعضوية بكباشى يوسف العجرودى أركان حرب منطقة القاهرة، وجلال صبرى الرئيس الأسبق للنادى ووالد الفنان سمير صبرى ومصطفى كمال عبدالرازق ومحمد حسنى وعلى صبرى مدير مكتب جمال عبدالناصر ورئيس الوزراء فيما بعد).

لقد أراد فاروق أن يثبت تحديه للضباط الذين رفضوا أوامره واضطر هؤلاء الضباط لقبول التحدى.. وكان قرار حل مجلس إدارة النادى الذى انتخبه بمثابة إعلان بقرب ساعة الصفر.

٣١ - سباق مع فاروق

١٣٧- حتى منتصف شهر ديسمبر ١٩٥١ كان تقدير الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار برياسة جمال عبدالناصر أنهم لا يستطيعون القيام بأى عمل قبل عام ١٩٥٥ فلما أثبت التنظيم قدرته فى معركة نادى الضباط، ونزل الجيش إلى شوارع القاهرة يوم ٢٦ يناير وأحسن الشعب استقباله، ودخلت مصر حالة الفوضى السياسية التى مرت بها بعد ذلك، جاء قرار حل مجلس إدارة نادى الضباط يوم ١٦ يوليو ١٩٥٢ مشعلا نيران الرغبة فى الانتقام والرد عليه.

١٣٨- فى اليوم التالى (١٧ يوليو) دعا عبدالناصر الهيئة التأسيسية لاجتماع حضره عبدالحكيم عامر وكمال الدين حسين وخالد محيى الدين وحسن إبراهيم وعبداللطيف البغدادى، اما باقى أعضاء الهيئة (جمال سالم وصلاح سالم وأنور السادات) فقد كانوا فى العريش ورفح بحكم مواقع أعمالهم. وكان اول ما فكر فيه المجتمعون واتفقوا جميعا عليه. أن يقوم اعضاء الهيئة بأنفسهم باغتيال بعض الذين ساهموا فى إفساد الحياة السياسية فى مصر، ولكنهم عندما حصروهم وجدوا أن عددهم يزيد على الثلاثين شخصا، بينما كل السيارات التى يملكها أعضاء الهيئة التأسيسية ثلاث سيارات (أصحابها هم عبدالناصر وخالد محيى الدين وعبداللطيف البغدادى) ولما بحثوا الاستعانة بأفراد آخرين من التنظيم لتنفيذ هذه العمليات وجدوا أنهم لابد أن يستخدموا سيارات الجيش لتوفير وسائل الانتقال لهم وأنهم سيقومون فى ليلة واحدة بمذبحة كبيرة ولابد ان الأمر سينكشف. ومادام كل باب سيطرقونه يعتبر مخاطرة فقد قرروا تنفيذ مخططهم الأساسى وهو القيام بانقلاب عسكرى يكون عنصر المفاجأة فيه أهم أسباب النجاح. ولجمع المعلومات عن الوحدات التى يمكن ان تشترك فى هذه العملية والموالية للتنظيم تم تأجيل الاجتماع إلى اليوم التالى.

١٣٩- فى اليوم التالى تم الاتفاق على ان يتم تنفيذ عملية الانقلاب يوم ٥

أغسطس حتى يكون الضباط المشتركون فى العملية قد قبضوا مرتباتهم وأمنوا أسرهم فى مواجهة مجهول لا يعرفونه، وحتى تعود الكتيبة ١٣ مشاه من رفح إلى مصر، وكان الاعتماد أساسيا عليها فى تنفيذ الانقلاب نظرا لأنها تضم ٤ سرايا عدد أفرادها ٨١٧ جنديا و٣٥ ضابطا. ولكن فى خلال الساعات التالية تداعت أحداث جديدة تأكد منها معرفة الملك فاروق بأسماء الضباط الأحرار، وأنه يفكر فى تعيين اللواء حسين سرى عامر وزيرا للحربية للقبض على الضباط الأحرار وإعدامهم.. وهكذا وجد قادة التنظيم أنفسم فى سباق مع فاروق من يكسبه يقضى على الآخر..

١٤٠- بعد ظهر يوم الثلاثاء ٢٢ يوليو عقد جمال عبدالناصر وزملاؤه الموجودون فى القاهرة اجتماعا فى بيت خالد محيي الدين قرروا فيه الخطة التى يبدأ تنفيذها عند منتصف الليل، وقال عبدالناصر إنها مغامرة إما أن ننجح فيها أو يعلقوا جثثنا على أعمدة النور. ورد جمال سالم قائلا: بسيطة. الواحد بدل ما تبقى فيه كرافتة متعلقة برقبته تبقى رقبته متعلقة بكرافتة!.

٣٢ - نجيب وعبدالناصر

١٤١- فى السنة التى تخرج فيها محمد نجيب من المدرسة الحربية عام ١٩١٨ ولد جمال عبدالناصر لأسرة تنتمى إلى قرية بنى مر فى أسيوط، ولكن بسبب تنقلات الأب الذى كان موظفا صغيرا فى مصلحة البريد، فقد ولد عبدالناصر فى الإسكندرية وأمضى فترة طفولته فى قرية الخطاطبة بمحافظة البحيرة، وتلقى تعليمه فى مدرسة النحاسين بالقاهرة، وقد صادف تخرجه عام ١٩٣٧ إتاحة الفرصة ليكون ضابطا بالجيش بعد أن تقرر عقب معاهدة ١٩٣٦ مع الإنجليز فتح أبواب المدرسة الحربية لقبول أبناء الأسر المتوسطة لأول مرة.

وفى مشوار عمله العسكرى نقل عبدالناصر إلى السودان حيث تعرف على اقرب أصدقائه عبدالحكيم عامر (من مواليد ١٩١٩) ثم استقر به المقام مدرسا فى الكلية الحربية، وفى حرب فلسطين تعرض لتجربة مريرة عندما حوصر مع قواته فى الفالوجا نحو ١٠٠ يوم وبعد عودته إلى مصر قرر تشكيل أول خلية لتنظيم «الضباط الأحرار» بعد أن جرب الاتصال بجماعة مصر الفتاة والشيوعيين والإخوان المسلمين وقرر ألا يخضع تنظيمه لوصاية أى حزب أو تيار.

١٤٢- بالنسبة لمحمد نجيب فإنه لا يعرف تاريخ ميلاده وعندما تقدم لدخول الحربية معتمدا على أن أباه وخاله كانا من ضباط الجيش فقد استخرجت له أول شهادة ميلاد قدر القسم الطبى فيها أنه من مواليد ١٩ فبراير ١٩٠١.

١٤٣- تنتمى عائلة محمد نجيب أصلا إلى قرية النحارية بكفر الزيات، ولكن نجيب ولد فى الخرطوم حيث كان الأب ضابطا فى الجيش المصرى فى الوقت الذى كان السودان يعتبر فيه الجزء الجنوبى لمصر. وبعد تخرج نجيب من الحربية فإنه أضاف إلى شهادته العسكرية ليسانس الحقوق (عام ١٩٢٧) ودبلوم فى الاقتصاد السياسى (عام ١٩٢٩) ودبلوم القانون الخاص (عام ١٩٣١) لكنه لم يكمل مشوار حصوله على الدكتوراه.

١٤٤- خاض محمد نجيب حرب فلسطين وأصيب عدة مرات أخطرها فى معركة

التبة التى اعتبرت أكبر معارك الجيش المصرى فى فلسطين وحصل عنها على نجمة فؤاد العسكرية، وكاد أن يتم دفنه بعد هذه المعركة عندما نقل إلى المستشفى مغمى عليه، وكتب الطبيب الذى تولاه تقريرا بأنه مات وغطى وجهه لولا مرور ضابط رفع الغطاء فوجد عينه ترمش فصاح وأنقذوه...

١٤٥- أثرت حرب فلسطين على محمد نجيب وراح يتحدث مع الضباط الكبار عن تطهير الجيش لكن هؤلاء الكبار كما ذكر كانوا يكتفون بالكلام، ولا يرغبون فى العمل.. ويقول نجيب فى مذكراته إن عبدالحكيم عامر الذى كان أركان حربه فى فلسطين هو الذى عرفه على جمال عبدالناصر، وأنه عرف فى هذا اللقاء - كما كتب نجيب - أنه زعيم تنظيم خاص وأنه - أى عبدالناصر - جاء ليكتشف شخصية محمد نجيب ... (وكان قيام الرتب الصغيرة بفحص وطنية الضباط العظام - كما يقول نجيب - شيئا غريبا لكننى لم أعترض لأننى كنت مقتنعا أن خلاص مصر يقع على عاتق الضباط الأحرار الصغار).

٣٣ - النصرفى ٤ ساعات !

١٤٦- بعد أربع ساعات من خروج القوات التى حركها الضباط الأحرار ليلة ٢٣/٢٢ يوليو لتنفيذ الخطة (نصر) - كما أطلق عليها - كانت هذه القوات قد تمكنت من السيطرة على قيادات مختلف الأسلحة الموجودة فى القاهرة والعريش وعلى مقر رياسة الجيش فى كوبرى القبة ومحاصرة منطقة العباسية التى تقع فيها معظم وحدات الجيش والكلية الحربية (كان مكانها فى مواجهة ضريح جمال عبدالناصر حاليا)، وقد تم تحويل هذه الكلية إلى معتقل أودع فيه كبار ضباط الجيش ومن قبض عليهم فى تلك الليلة وقد بلغوا ٢٣٦ أفرج عنهم فى اليوم التالى عدا ٣٤ تم استمرار التحفظ عليهم.

١٤٧- عدا الوحدات العسكرية تمت السيطرة على محطة مصر ومبنى التليفون والتلغراف (فى شارع رمسيس حاليا) وعلى مبنى الإذاعة الذى كان موجودا فى شارع علوى فى منطقة وسط القاهرة.. وفى جميع هذه العمليات أصيب جندى واحد من قوات الضباط الأحرار وقتل أومباشى فى مبنى القيادة.

١٤٨- فى الرابعة صباحا أبلغ اللواء محمد نجيب بالنجاح الذى تحقق وبعد نصف الساعة كان يجلس إلى مكتب رئيس الجيش وحوله الضباط وهم في حالة من الدهشة مع الفرحة مع القلق بعد هذا النصر السريع الذى امسكوا به دون مقاومة أو خسارة. وكانت المهمة التالية تعريف العالم والملك والشعب من هم وماذا يريدون، وأيضا - وكان هذا ضروريا فى هذه اللحظات كسب تأييد باقى وحدات الجيش فى كل أنحاء مصر.

١٤٩- لم يكن معدا سلفا أى بيان لإذاعته، وقد تولى الصاغ عبدالحكيم عامر والصاغ جمال حماد ترتيب أفكار هذا البيان ثم تولى جمال حماد صياغته. وعندما أمسك جمال حماد القلم لكتابة البيان فقد شعر بحسه كمستمع سواء من أفراد الشعب أو الجيش أن البيان يجب أن يكون صادرا عن شخصية كبيرة لها مكانتها على المستوى الشعبي، وأهم من ذلك قبولها من أكثر من ٣٠٠٠ ضابط فى الجيش كان عليهم أن يحددوا خلال هذه الساعات الحاسمة موقفهم من الحركة. ولأنه لم يكن

معروفا سواء على مستوى الجيش أو الشعب اسم أى واحد من الضباط الأحرار الذين كانو جميعا فى رتب صغيرة أو متوسطة أكبرها رتبة المقدم، فقد وجد جمال حماد نفسه يكتب فى أول سطر من البيان: من اللواء محمد نجيب (القائد العام للقوات المسلحة) وهو منصب أسبغه جمال حماد على محمد نجيب وكان له دور كبير فى سرعة نجاح الحركة.

١٥٠- روى لى المذيع فهمى عمر الذي كان عليه فى صباح يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تولى فتح برامج الإذاعة أنه فوجئ عند وصوله إلى مقر الإذاعة بشارع علوى بوجود بعض الدبابات والقوات ووجد فى انتظاره عدد من الضباط كان من بينهم البكباشى أنور السادات وجمال القاضى الذى كان فهمى عمر يعرفه. وقال السادات لفهمى عمر إنهم سيدخلون تعديلا على برنامج الصباح فى ذلك اليوم يقضى بأن يتولى أنور السادات قراءة بيان من قيادة الحركة.. وبالفعل قام أنور السادات بقراءة البيان ثم غادر مقر الإذاعة..

ولما كانت عملية تسجيل البرامج لا تتم فى ذلك الوقت إلا اعتبارا من التاسعة صباحا عند حضور المهندسين المختصين وكانت عملية التسجيل تجرى على أسطوانات سرعة ٣٣ لفة فلم يتم تسجيل البيان الذى أذاعه أنور السادات لأول مرة بصوته.. واحتاج الأمر لإعادة إذاعته أن يتولى بعض الضباط الذين كانوا موجودين ومن بينهم المرحوم اليوزباشى محيى عبدالرحمن الذى كان يتولى قيادة السرية التى احتلت الإذاعة، أن يتناوبوا إذاعة البيان بصوت كل منهم، إلى أن جاء المذيع جلال معوض فى المساء وقام بإذاعة البيان بصوته وقام مهندسو الصوت بتسجيله إلا أنه حدث يوم ٢٣ يناير ١٩٥٣ أن فكر المرحوم السيد بدير فى تقديم عمل درامى تقدمه الإذاعة فى مناسبة مرور ستة أشهر على الثورة فى سهرة كاملة كتب لها سيد بدير السيناريو واستدعى شهود ذلك اليوم ومنهم المذيع فهمى عمر لرواية ما حدث.. ولاستكمال الصورة حمل فهمى جهاز تسجيل ذهب به إلى أنور السادات فى مقر مجلس الثورة المطل على النيل بجوار فندق شيراتون الجزيرة حاليا وسجل له بصوته البيان الأول للثورة والذى قاله أيضا بصوته صباح ٢٣ يوليو ولكن لم يسجل.. وفى سهرة ٢٣ يناير ١٩٥٣ أذيع تسجيل البيان كما سجله أنور السادات ولكن بعد ستة أشهر من قيام الثورة وهو التسجيل الذى يتم حفظه باعتباره أول بيان أذاعه للثورة.

٣٤ - لماذا نجحوا ؟

١٥١- كان (للغلطة الموفقة) التى دفع القدر إليها المقدم يوسف منصور صديق من سلاح المشاة دورها فى نجاح الحركة ليلة ٢٣/٢٢ يوليو، إلا أنها بالتأكيد لم تكن كل أسباب النجاح. فقد خرج يوسف صديق بقواته مبكرا ساعة عن موعد ساعة الصفر في الخطة الأصلية معتقدا خطأ إنها الحادية عشرة مساء وليس منتصف الليل. وقد أدى ذلك إلى تمكنه من إجهاض عملية مضادة لاعتقال الضباط الأحرار فى الليلة نفسها كان يرتب لها الفريق حسين فريد رئيس أركان حرب الجيش الذى كان مجتمعا مع بعض معاونيه في مبنى رئاسة الجيش فاقتحم يوسف صديق بقواته المبنى وقبض عليه وعلى معاونيه، وقد وجدوا على مكتبه ورقة مسجلا بها أسماء ثمانٍ من قيادات الضباط الأحرار.. لكن هذا لم يكن بالتأكيد كل أسباب النجاح.

١٥٢- كان هناك أولا قصور أجهزة الأمن التى تركت تنظيما عسكريا يصدر المنشورات ضد الملك نحو ٣٠ شهرا دون التوصل إليه. وكان من أسباب القصور أن البوليس السياسى المخصص لذلك فى وزارة الداخلية كان يملك ٢٤ ضابطا تركز اهتمام معظمهم على متابعة نشاط الإخوان المسلمين والشيوعيين، أما المخابرات الحربية داخل الجيش فكان بها ١٥ ضابطا فقط.

١٥٣- كان من حسن الحظ أن أحداث القاهرة جرت في وقت كان الملك فيه وجميع الوزراء في الإسكندرية لأداء اليمين أمام الملك وفي زمن كانت الاتصالات فيه مازالت متواضعة. وعلى سبيل المثال فإن الفريق محمد حيدر باشا اتصل مرتين تليفونيا بمكتب مدير المدفعية يسأل من يرد عليه عن (الحالة عندكم إيه) فيجيب محدثه (كل حاجة تمام يا أفندم) وفى المرة الثالثة سأله حيدر : أمال فين مدير المدفعية؟ فأجابه الصوت نفسه فى السجن يا أفندم!

ويمكن اعتبار وجود حيدر على رأس الجيش فى ذلك الوقت من أسباب نجاح

الحركة. وقد تخرج حيدر فى كلية البوليس وعمل فى مصلحة السجون، حيث استثمر صفة البخل الشديد فى الملك فؤاد وحرصه على ألا ينفق من أمواله على إصلاح أراضيه التى تحمل اسم الخاصة الملكية فسخر حيدر المسجونين لتولى هذه المهمة، الأمر الذى نال به رضاء فؤاد.. وعلى نفس طريق تشغيل المسجونين بلا مقابل فى إصلاح أراضى الخاصة الملكية نجح حيدر فى التقرب إلى فاروق الذى عينه قائدا عاما للجيش ووزيرا للحربية. ولكن بعد ظهور منشورات حركة الضباط الأحرار أصبح فاروق يتهم حيدر بالتقصير فى كشف هؤلاء الضباط ووصل الأمر إلى حد أنه أخذ يرتب لإبعاد حيدر باشا عن موقعه فى الجيش. وقد علم حيدر بذلك وبالتالى فقد فى الأيام الأخيرة حماسه فى أى عمل يقوم به وخاصة أنه من الناحية العسكرية كان محدودا.

١٥٤- إضافة إلى ذلك كان من أسباب نجاح انقلاب ٢٣ يوليو بالسهولة التى تم بها وجود معظم الوحدات العسكرية فى شارع الخليفة المأمون الذى قام عدد محدود من الدبابات بإغلاقه من الناحيتين فتم عزل الوحدات والقبض على من لم يكونوا مع الحركة.

١٥٥- كان هناك أيضا من أسباب سرعة نجاح الحركة اسم اللواء محمد نجيب وصفة القائد العام التى صدر بها أول بيان عنه، وقد ساعد ذلك بالتأكيد على كسب ولاء الضباط الآخرين، وأيضا تأييد الشعب بحيث أصبح صعبا على فاروق أن يفكر فى المقاومة.

١٥٦- وكانت هناك غير ذلك عدة إجراءات تمت فى الليلة نفسها راعى جمال عبدالناصر باعتباره العقل المخطط أن يضمن بها حيدة عدة جهات.. فعن طريق على صبرى الذى كان يعمل فى مخابرات الطيران وله علاقة بضباط المخابرات فى السفارة الأمريكية تم إبلاغ الأمريكيين بالحركة، وبدورهم أبلغوا الإنجليز. أما عبد الناصر فقد تولى بنفسه إبلاغ الإخوان المسلمين (عن طريق عضوهم البارز حسن عشماوى) وإبلاغ الشيوعيين عن طريق أحمد حمروش.. وهكذا فإن النجاح لم يكن وليد المصادفة أو الأغلاط السعيدة.

٣٥ـ مطالب الجيش

١٥٧ ـ من خلال الاتصالات التليفونية التى تتابعت مع قادة الحركة الذين أمضوا الليل ساهرين فى مكتب رياسة الجيش بكوبرى القبة وضح أن مختلف وحدات الجيش إن لم تكن مؤيدة تماما لما حدث فهى على الأقل ليست ضده.

١٥٨ ـ فى التاسعة والنصف صباح الأربعاء ٢٣ يوليو ٥٢ خرج اللواء محمد نجيب وبجواره البكباشى جمال عبدالناصر فى سيارة عسكرية مكشوفة تتقدمها سيارة جيب وتتبعها نحو عشر عربات أخرى تحسبا لأى خطر، إلا أن الخطر الذى كان منتظرا تحول بعد لحظات من خروج الموكب إلى تصفيق مستمر راحت الجماهير تستقبل به محمد نجيب الذى عرفته بوجهه الطيب ودخل قلوب كل الذين شاهدوه من اللحظة الأولى.

١٥٩ـ بادر نجيب الهلالى رئيس الوزراء الذى كان مع وزرائه فى الإسكندرية بعد أن أدوا اليمين فى الرابعة من بعد ظهر اليوم السابق بالاتصال باللواء محمد نجيب وإبلاغه استعداد وزارته تلبية مطالب الجيش فأجابه نجيب أن المطلب الأول هو وزارة جديدة، وفهم الهلالى المقصود فكتب بعد دقائق استقالته وأرسلها إلى الملك فى الوقت الذى استقر فيه رأى لجنة قيادة الحركة على تولى على ماهر رئاسة الوزارة الجديدة فاشترط لقبولها أن يأتيه التكليف من الملك باعتباره الولى الشرعى للبلاد حتى ذلك الوقت.

وعلى ماهر من مواليد القاهرة عام ١٨٨٢ توفى فى عام ١٩٦٠. وقد بدأ حياته محاميا ثم قاضيا، وفى عام ١٩١٩ انضم إلى الوفد لكنه انفصل عنه بعد ذلك وخاصمه بشدة وانحاز إلى الملك فؤاد وبعده فاروق فتولى عدة وزارات كما رأس ثلاث وزارات فى فترة ماقبل الثورة.

١٦٠ ـ اتصل الملك فاروق باللواء محمد نجيب عن طريق أحد الوزراء السابقين لمعرفة مطالب الجيش فحدد اللواء نجيب ثلاثة مطالب: أولها: تكليف على ماهر

رئيسا للوزارة. وثانيها: تعيين اللواء محمد نجيب قائدا عاما للجيش (مكان الفريق محمد حيدر باشا). وثالثها: طرد ثلاثة من حاشية فاروق هم أنطون بوللي (متولي شئونه الخاصة جدا) والأميرالاى محمد حلمى حسين (بدأ سائقا فى جراج القصر وتقرب من فاروق فجعله ضابطا ورقاه إلى رتبة أميرالاى (عميد)، ومحمد حسن شماشرجى الملك، وكان يعتبر أقوى رجل فى القصر إذ كان الواسطة بين الملك وبين كبار ر.ـال الدولة، وكان محمد حسن هو الذى يكتب بخطه على الأوراق الرسمية تأشيرات أو رغبات فاروق.

وقبل الملك فاروق المطالب الثلاثة التى قدمها إليه محمد نجيب فكلف على ماهر بتشكيل الوزارة، وعين محمد نجيب قائدا عاما للقوات المسلحة ورقاه إلى رتبة فريق إلا أن نجيب تنازل عن هذه الرتبة بعد خروج فاروق من مصر، أما الثلاثة الذين طلب طردهم فقد تم القبض عليهم فور خروجهم من قصر رأس التين.

وفى مساء يوم ٢٤ يوليو قامت الوزارة التى شكلها على ماهر من عشرة وزراء مدنيين بأداء اليمين أمام الملك.. وكان هذا آخر عمل للملك قبل أن يوقع أمر تنازله.

١٦١ - بسرعة بالغة جرت الأحداث وفى أول اجتماع لقادة الحركة وجدوا أنفسهم يقررون ما لم يكن يفكرون فيه وهو عزل فاروق عن العرش.. وسافر محمد نجيب ومعه أنور السادات وزكريا محيى الدين وجمال سالم إلى الإسكندرية لتنفيذ خطة العزل، ولكن فى الإسكندرية احتدمت المناقشة مع جمال سالم الذى طلب محاكمة فاروق على جرائمه وإعدامه إن اقتضى الأمر .. وكان ضروريا أخذ رأى باقى أعضاء القيادة فطلب نجيب إلى جمال سالم - خوفا من استخدام التليفون - أن يسافر إلى القاهرة ويناقش مع جمال عبدالناصر وباقى أعضاء قيادة الحركة مستقبل فاروق. وعاد جمال سالم بعد ساعات من سفره إلى القاهرة حاملا رسالة من جمال عبدالناصر تقول: إن حركة التحرير يجب أن تتخلص من فاروق بأسرع مايمكن لكى تتفرغ إلى ماهو أهم وهو القضاء على الفساد فى مصر، ويجب علينا أن نمهد الطريق لعهد جديد يتمتع فيه الناس بالحرية والكرامة والعدل، وإننا لايمكن أن نضع فاروق أمام محكمة ولانضعه أيضا فى السجن ونشغل أنفسنا بالخطأ والصواب وننسى أغراض الثورة، دعنا نترك فاروق يذهب إلى المنفى، ونترك التاريخ يحكم عليه بالموت.

٣٦ ـ فاروق الأول والأخير

١٦٢ ـ تم رسم سيناريو عزل الملك فاروق على أساس محاصرة قصرى المنتزه ورأس التين (حيث كان يقيم فاروق). وفى الساعة التاسعة من صباح يوم السبت ٢٦ يوليو ٥٢ توجه اللواء محمد نجيب يرافقه أنور السادات وجمال سالم لمقابلة على ماهر رئيس الوزراء. وفور دخولهم أخرج محمد نجيب ورقة أعطاها أنور السادات الذى راح يقرأ مافيها بصوت مرتفع .. وقد بدأها بقوله: «من الفريق أركان حرب محمد نجيب . باسم ضباط الجيش ورجاله إلى جلالة الملك.. نظرا لما لاقته البلاد فى العهد الأخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور وامتهانكم لإرادة الشعب.. لذلك فوضنى الجيش الممثل لقوة الشعب التنازل عن العرش لسمو ولى عهدكم أحمد فؤاد، على أن يتم ذلك فى موعد غايته الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم.. ومغادرة البلاد قبل السادسة من مساء اليوم نفسه». وكما هو ملاحظ فقد كان واضحا إنذار فاروق باسم الجيش، ويحكى محمد نجيب فى مذكراته (كنت رئيسا لمصر) فيقول: ارتجفت شفتا على ماهر وشحب وجهه وقال:

هل قدرتم كل شىء؟

قال له نجيب: نعم

قال على ماهر: زى ماتشوفوا.

١٦٣ ـ ذهب على ماهر الذى فوجئ بالمهمة إلى فاروق حاملا فى جيبه الإنذار، الذى كان عليه أن يسلمه إليه لكن على ماهر، وقد أحس ـ كما ذكر لمحمد نجيب بعد ذلك ـ بشدة اللهجة التى كتب بها الإنذار لم يخرجه من جيبه، وإنما اكتفى بإبلاغ فاروق فحواه بطريقة دبلوماسية.

وفى أثناء الحديث مع فاروق قال فاروق لعلى ماهر إنه ليس جبانا وفى وسعه أن يقاوم وأن لديه من القوات الموالية أكثر مما لدى الضباط المتمردين، ولكن على ماهر

قاطعه قائلا بأنه لايرضيه أن يعرض بلاده لحرب أهلية لايعلم إلا الله ماذا ستجر على الوطن من ويلات، وبذلك تم الاتفاق بين على ماهر والملك على أن يقبل الأخير التنازل.

١٦٤ ـ قبل الثانية عشرة ظهرا ذهب سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة فى ذلك الوقت (كان قادة التنظيم قد استعانوا برئيس مجلس الدولة الدكتور عبدالرازق السنهورى ووكيل المجلس فى صياغة الوثائق المطلوبة) حاملا وثيقة تنازل فاروق عن العرش لولى عهده أحمد فؤاد. وعندما التقى فاروق مع سليمان حافظ وتناول منه الوثيقة أمسك بها فاروق، وسأل: هل هى محكمة الوضع من الناحية القانونية: فقلت (وأنا أنقل هنا من التقرير الرسمى الذى كتبه سليمان حافظ إلى رئيس الوزراء) نعم. وألقى عليها نظرة عاجلة ثم سألنى عن أسباب النزول عن العرش، فقلت إننا استلهمناها من مقدمة الدستور.. وعاد إلى قراءة الوثيقة مرة ثم تناول قلما من جيبه وقراها مرة أخرى كلمة فكلمة (وتوقف أمام عبارة نزولا على إرادة الشعب قررنا التنازل عن العرش) وقال ألا يمكن إضافة كلمة «وإرادتنا»بعد عبارة «ونزولا على إرادة الشعب». قلت لقد وضعنا نزولكم عن العرش فى صورة أمر ملكى. قال: تريد أن تقول إن الأمر الملكى ينطوى على هذا المعنى. قلت نعم. قال: فليس إذن مايمنع من إضافة تلك الكلمة. قلت إننا لم نصل إلى الصيغة المعروضة عليه إلا بصعوبة، قال فى اهتمام: إذن فقد كانوا يريدون منى أن أوقع ورقة أخرى.. قل لى يابك ماذا فيها. قلت: لم أطلع عليها. قال: أنت تمسك عن ذكر مافيها حتى لايجرح شعورى، لكننى أعدك ألا أتأثر مما أسمع. فأكدت له بشرفى أننى لم أطلع عليها فوقع الأمر الملكى. ثم قال: لعلك تقدر الظروف فتلتمس لى العذر فى أن التوقيع لم يكن كما أود، لذا سأوقع مرة أخرى. ثم وقع فى أعلى الوثيقة التى كان نصها(*):

(*) ذكر زكريا سليمان حافظ فى تقريره التفصيلى الذى قدمه إلى رئيس الوزراء. أنه عندما وصل إلى قصر رأس التين استقبله رجل بالملابس المدنية قال إنه الأميرالاى أحمد كامل وأدخله إلى صالة فسيحة مستديرة فى وسطها منضدة كبيرة من الرخام الأسود المموه باللون الأبيض، وقال أحمد كامل للمستشار سليمان حافظ فى فترة انتظار وصول الملك ان لجلالة الملك أمنية يريح خاطره ان تتحقق فقد اعتقل رجال الجيش أنطوان بوللى والأميرالاى محمد حلمى حسين عند خروجهما من القصر صباح ذلك اليوم وبوللى عزيز على الملك إذ يلازمه منذ الطفولة وهو سيسر فى هذا الظرف العصيب إذا أمكن بتوسط المستشار سليمان حافظ أن يسمح لبوللى بالرحيل معه لغير رجعة وكذلك الأميرالاى محمد حلمى حسين لوكان هذا مستطاعا وإلا فيكفى الإفراج عن بوللى، وقد تحدث فى هذا الشأن طويلا فوعده المستشار سليمان حافظ أن يتوسط فى ذلك.

أمر ملكي رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢ نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان لما كنا نتطلب الخير دائما لأمتنا ونبتغي سعادتها ورقيها، ولما كنا نرغب رغبة أكيدة فى تجنيب البلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة ونزولا عن إرادة الشعب: قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه.

وفى السادسة تماما غادرت المحروسة ميناء الإسكندرية حاملة فاروق .. الأول والأخير(*).

(*) كتب محمد نجيب فى كتابه «كنت رئيسا لمصر» صفحة ١٢٧ يصف لحظات خروج فاروق: كان فى نيتي أن أكون فى وداعه عند مغادرته قصر راس التين لكن ازدحام الناس حولى عطل وصولي. كما أن سائقي ضل الطريق وتوجه إلى ميناء خفر السواحل بدلا من أن يتوجه للميناء الملكي. ولما عدنا إلى الميناء الصحيح، كان الملك قد توجه إلي المحروسة منذ أربع دقائق أى فى السادسة تماما حسب الإنذار، ووجدت على ماهر وكافرى (سفير أمريكا) وإسماعيل شيرين (زوج فوزية شقيقة فاروق) وبعض ضباط الحرس وقد بدا عليهم الصمت والوجوم وكأن الزمن توقف فعلا.

وكانت والدة ناريمان السيدة أصيلة صادق قد حضرت لوداع الملك ومعها اثنتان من أخواته فايزة وفوزية وأزواجهن، كان الملك يرتدى حلة أدميرال بحرى، وكانت ناريمان قد سبقته إلى المحروسة ومعها الأمير أحمد فؤاد تحمله مربية إنجليزية ومعها أيضا بنات فاروق من فريدة : فريال وفوزية وفادية، وعزف السلام الملكي وتقدم الملك إلي المحروسة واختلطت أصوات المدافع بصوت بكاء الخدم والحاشية. وسألنى على ماهر: ماذا ستفعل الآن بعد أن وصلت متأخرا؟ قلت : سأذهب إلي وداعه على ظهر المحروسة كما وعدت. وأخذت لنشا حربيا دار بنا دورة كاملة كما تقضى التقاليد البحرية .. وحذرنى زملائى من الصعود إلى اليخت إذ ربما أطلق أحد أتباع الملك الرصاص فقلت: قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا. كانت المحروسة فى عرض البحر. وأثناء مرور اللنش حولها رأيت الملك واقفا على سطحها ينظر إلينا فحييته التحية العسكرية أنا ومرافقى من الضباط لكنه لم يرد التحية. وأعتقد أنه لم يتنبه إلينا. أو عاكسه ضوء الشمس عند الغروب. وصعدت إلى المحروسة يتبعني أحمد شوقى (قائد قوة القاهرة) وحسين الشافعي وجمال سالم (من لجنة القيادة) وإسماعيل فريد (ياور محمد نجيب وفيما بعد محافظ الدقهلية) وكان الملك ينتظرنى. أديت له التحية فرد عليها. ومضت فترة سكون .. سكون ثقيل كأنه جبل. فمن الصعب إنسانيا أن تودع ملكا كان يملك ويحكم كل شيء قبل أيام قليلة وكان من الممكن أن يعتقلنى أو يقتلني. ومن الصمت الذى كان يسيطر علينا ويحكمنا ويربك أنفسنا ويجعل الكلمات عاجزة عن الحركة على شفاهنا. وقلت له: افندم .. أنت تعرف أننى كنت الضابط الوحيد الذى قدم استقالته فى عام ١٩٤٢ (يقصد احتجاجا على حصار الإنجليز لقصر عابدين وشعور نجيب بالإهانة التى وجهت إلى الملك). قال: نعم أتذكر. قلت: لقد كنت خجولا للمعاملة التى لقيها الملك فى ذلك الوقت. قال: أعلم . قلت : كنا مخلصين للعرش فى عام ١٩٤٢ ولكن أشياء كثيرة تغيرت منذ ذلك الوقت. قال: نعم أعرف أن أشياء كثيرة تغيرت قلت: أنت تعرف يافندم أنك السبب فيما فعلناه. وجاءت إجابة فاروق محيرة جدا وشغلتنى طيلة حياتى فقد قال: أنتم سبقتمونى بما فعلتوه فيما كنت أريد أن افعله. كنت مندهشا لهذا الرد ولم أجد شيئا أقوله له. وقدمت التحية كما فعل الآخرون وسلمنا بأيدينا على بعضنا البعض. وقال فاروق: أرجو أن تعتني بالجيش فهو جيش آبائى وأجدادى. قلت:أعرف أن الكولونيل سليمان الفرنساوى هو الذى أسسه والجيش الآن في أيد أمينة. ولاحظ فاروق أن جمال سالم يحمل عصاه وهو يقف أمامه فتوقف عن الحديث وأشار إليه قائلا: ارم عصاك. وحاول جمال سالم أن =

يعترض لكني منعته من ذلك، فألقى عصاه ووقف بصورة تنم عن اللامبالاه. وعاد الملك للحديث معي فقال: إن مهمتك صعبة جدا. فليس من السهل حكم مصر. وكانت هذه آخر كلمات فاروق وانتهى الوداع في احترام ووقار ثم وقف الملك مع علي ماهر وجيفرسون كافري وقال: الآن يجب أن يمشي. ومشى فاروق دون أن يرجع. وشعرت أن صفحة جديدة قد فتحت في تاريخي وتاريخ مصر. وفي السادسة والنصف أذيع بيان كان قد سجل بصوتي عن هذا الحدث: قلت فيه: بني وطني إتماما للعمل الذي قام به جيشكم الباسل في سبيل قضيتكم قمت في الساعة التاسعة من صباح يوم السبت ٢٦ يوليو ١٩٥٢ الموافق ٤ من ذي القعدة ١٣٧١ بمقابلة حضرة صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء وسلمته عريضة موجهة إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول تحمل مطلبين على لسان الشعب. الأول، أن يتنازل جلالته عن العرش لسمو ولي عهده قبل ظهر اليوم. والثاني، أن يغادر جلالته البلاد قبل الساعة السادسة، وقد تفضل جلالته فوافق على المطلبين وتم التنفيذ في المواعيد المحددة دون حدوث مايعكر الصفو. وإن نجاحنا إلى الآن في قضية البلاد يعود إلى تضافركم معنا بقلوبكم وتنفيذكم لتعليماتنا وإخلادكم إلى الهدوء والسكينة وإني أعلن أن الفرح قد يفيض عن صدوركم لهذا النبأ غير أنني أتوسل إليكم أن تستمروا في التزام الهدوء حتى نستطيع مواصلة السير بقضيتكم في أمان. ولي كبير الأمل في أنكم ستلبون ندائي في سبيل الوطن. وفقكم الله لما فيه خيركم ورفاهيتكم والسلام.

٣٧ - أهلا بالمجهول

١٦٥- منذ تم تسخير آلاف العمال المصريين لشق قناة السويس التى فتحت الباب لاستعمار مصر اقتصاديا تراكمت ضغوط حاولت مصر عن طريق جيشها بقيادة أحمد عرابى أن ترفع رأسها فتم ضربها بقوة وجاء الاحتلال الإنجليزى وألغى الجيش، وقضى على قوته وتراكمت ضغوط جديدة كانت من نتيجتها انتفاضة الشعب نفسه وثورته عام ١٩١٩. وبرغم أن هذه الانتفاضة جاءت باستقلال شكلى للبلاد وبدستور وبرلمان وانتخابات، وجعلت مصر دولة ملكية، فإن الملك فؤاد وبعده فاروق سارا على طريق من سبقوهما من أفراد الأسرة الذين لم يستفيدوا من درس محمد على مؤسسها. فبرغم أن محمد على كان جنديا وافدا على مصر وكان أمامه - كما فعل الذين يسعون إلى السلطة - أن يستند إلى استرضاء الوالى فى الآستانة أو إلى ولاء رئيس الجنود من الأتراك، أو إلى أعداد المماليك الذين كانوا يشكلون قوة كبيرة فى مصر إلا أنه ترك كل هذه القوى واختار أن يستند إلى الشعب الذى لم يخذله وأحبه وطالب به حاكما على مصر. حتى عمر مكرم أحد أبناء مصر، ورموزه، الذى كان يجب أن يحكم مصر فضل محمد على على نفسه.. لكن أبناء محمد على وأحفاده لم يتأملوا ويتعلموا وعلى العكس تماما أعطوا ظهورهم للشعب..

وعندما أصبح فؤاد ملكا يحكم البلاد بالدستور فإن أول ما فعله هو امتهان هذا الدستور، وعدم احترام إرادة الشعب وإلى حد إلغاء برلمان كامل فى نفس أول يوم انعقاده، لأنه جاء بحزب الوفد الذى يكرهه.. ولم يختلف فاروق كثيرا عن أبيه برغم استقبال الشعب له عند توليه بمشاعر صادقة من الحب والآمال، إلا أنه لم يراهن يوما على الشعب وينحاز إلى جانبه رغم أنه أدمن المراهنة وكان يمضى الليالى على موائد القمار فى أماكن عامة لا تليق بملك يحكم أكبر وأغنى دولة عربية.. وخلال سنوات توليه من ٣٧ إلى ٥٢ شهدت البلاد ١٨ وزارة، وأرغمت على دخول حرب

بلا استعداد، واحترقت القاهرة وهو يحتفل بعيد ميلاد ابنه، وسادت الفوضى البلاد وسيطر المرتشون والفاسدون، ولهذا لم تودع فاروق عند خروجه من مصر دمعة حزن أو أسى..

وعلى العكس فإن خروج الملايين لاستقبال محمد نجيب وزملائه لم يكن بسبب معرفتهم بهم، فلم يكن هناك وقتها فى الشعب من يعرف عن نجيب أو عبدالناصر أو عبدالحكيم أو غيرهم من قادة الحركة، وإنما كانت حرارة استقبال الجماهير لهم ناتجة من معرفتهم بالملك.. وقد رأوا فى هؤلاء القادمين من المجهول أملا لابد أن يكون أفضل من الذى رحل(*)..!

(*) عندما استيقظت مصر صباح يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ على البيان الذى أعلن عن حركة الجيش وكان بداية حقبة جديدة فى تاريخ البلاد، كانت الصورة وقتها فى مصر كما يلى:

١- رياسة الدولة :

الملك فاروق (تولى ٦ مايو ١٩٣٦) والملكة ناريمان صادق (تزوجت ٦ مايو ١٩٥١) وولى العهد : أحمد فؤاد الثانى (ولد ١٦ يناير ١٩٥٢).

٢- الحكومة :

تم تشكيلها وأدى أعضاؤها اليمين الرابعة بعد ظهر ٢٢ يوليو ١٩٥٢

رئيس الوزراء : أحمد نجيب الهلالى

الوزراء : طه السباعى (التموين)، محمد كامل مرسى (العدل)، محمد عبدالمغنى الجزائرى (الأوقاف)، عبدالخالق حسونة (الخارجية)، محمد زكى عبدالمتعال (المالية)، أحمد مرتضى المراغى (الداخلية)، محمد رفعت (المعارف)، محمد فريد زعلوك (التجارة)، مراد على (المواصلات)، راضى أبو سيف راضى (الشئون الاجتماعية)، إسماعيل شيرين (الحربية)، حسن كامل الشيشينى (الزراعة)، يوسف سعد (الأشغال)، مريت غالى (الشئون البلدية والقروية)، الدكتور سيد شكرى (الصحة).

=٣ - البرلمان :

كان قد تم حله فى أبريل ١٩٥٢، وكان رئيس مجلس الشيوخ : على زكى العرابى باشا (وفدى) ورئيس مجلس النواب: عبدالسلام جمعة (وفدى).

٤ - الجيش :

القائد العام : الفريق محمد حيدر باشا
رئيس الأركان : فريق حسين فريد بك
مدير سلاح المشاة : لواء أ. ح. محمد نجيب بك
مدير سلاح المدفعية : لواء حافظ بكرى بك
مدير سلاح الفرسان : أميرالاى حسن حشمت بك
مدير سلاح الطيران : لواء محمد مصطفى شعراوى باشا
مدير سلاح البحرية : أمير البحر محمود بدر بك
مدير سلاح الحدود : لواء حسين سرى عامر بك
قائد المنطقة المركزية : لواء على نجيب بك
=

= قائد المنطقة الشمالية : لواء محمد حلمى عبدالرحمن بك

قائد منطقة العريـش : أميرالاى مجدى الزارع بك

٥ - مجلس الدولة :

رئيس مجلس الدولة : د. عبدالرازق السنهورى باشا

وكيل مجلس الدولة : سليمان حافظ بك.

= ٦ - القصر الملكى :

رئيس الديوان الملكى : حافظ عفيفى باشا

وكيل الديوان الملكى : محمد حسن يوسف باشا

كبير الياوران : فريق عمر فتحى باشا

ياور اول : لواء عبدالله النجومى باشا

كبير الأمناء : عبدالوهاب طلعت باشا

ناظر الخاصة الملكية : محمد نجيب سالم باشا

السكرتير الخاص : د. حسن حسنى باشا

قائد الحرس الملكى : محمد أحمد كامل بك

المستشار السياسى : عبدالفتاح عمرو باشا

المستشار الاقتصادى : إلياس أندراوس باشا

قائد السرب الملكى : قائد الفرقة الجوية حسن عاكف بك

شماشرجى (خادم خاص) : محمد حسن السليمانى

٧ - قيادات الإدارة والأمن :

وكيل وزارة الداخلية : لواء عبدالمنصف محمود باشا

مدير الأمـن العـام : صلاح الدين مرتجى بك

محـافظ القاهـــرة : محمد كامل القاويش بك

مدير أمن القاهــرة : لواء أحمد طلعت بك

مدير القسم المخصوص (المباحث العامة) : لواء محمد إبراهيم إمام بك

محافظ الاسكندرية : كمال الذيب بك

٨ - الجامعات :

مدير جامعة فؤاد الاول (القاهرة) : د. (طبيب) عبدالوهاب مورو باشا

مدير جامعة إبراهيم باشا (عين شمس) : د. (طبيب) محمد كامل حسين بك

مدير جامعة فاروق الأول (الإسكندرية) : مصطفى عامر بك

مدير جامعة محمد على (أسيوط) : د. حسن إبراهيم حسن بك

٩ - الإذاعة :

مديـر عـــام الإذاعــة : حسنى نجيب بك

وكيل الإذاعة للبرامـج : على خليل بك

وكيل الإذاعة للهندسة : مهندس صلاح عامر

١٠ - جامعة الدول العربية :

أمين عام الجامعة : عبدالرحمن عزام باشا

١١ - الرؤساء الدينيون :

شيخ الجامع الأزهر : عبدالمجيد سليم

مفتى الديار المصرية : محمد حسنين مخلوف

= بطريرك الأقباط الأورثوذكس : الأنبا يوساب الثاني

الحاخام الأكبر : حاييم ناحوم أفندى

١٢ - الأحزاب السياسية :

حزب الوفد : رئيس: مصطفى النحاس باشا، وسكرتير محمد فؤاد سراج الدين باشا

حزب الأحرار الدستوريين : د. محمد حسين هيكل باشا رئيسا، وإبراهيم دسوقى أباظة باشا سكرتيرا

حزب الهيئة السعدية : إبراهيم عبدالهادى باشا رئيسا، د. محمد سامح موسى سكرتيرا

حزب الكتلة الوفدية : مكرم عبيد باشا رئيسا

جماعة الإخوان المسلمين : حسن الهضيبى بك مرشدا عاما، وعبدالقادر عودة وكيل عام الجماعة

الحزب الوطنى : حافظ رمضان باشا رئيسا

الحزب الوطنى الجديد : فتحى رضوان رئيسا

حزب مصر الفتاة (الحزب الاشتراكى) : أحمد حسين رئيسا

حزب العمال المصرى : عبدالحميد عبدالحق باشا رئيسا

الحركة العمالية : النبيل عباس حليم باشا زعيما

حزب الفلاح الاشتراكى : أحمد كامل قطب رئيسا

١٣ - رؤساء تحرير الصحف اليومية :

الأهرام : أحمد الصاوى محمد ، والمصرى : أحمد أبو الفتح، والأخبار : جلال الحمامصى وعلى أمين وكامل الشناوى ومحمد زكى عبدالقادر ومصطفى أمين، والبلاغ : محمد عبدالقادر حمزة، والزمان : حسين فهمى، والأساس : د. على الرجال، والمقطم : أنطون نجيب مطر، وجورنال د. إيجييت : إدجار جلاد باشا

١٤ - السلك السياسى الأجنبى :

السفير البريطانى : سير رالف ستيفنسون، والسفير الأمريكى : جيفرسن كافرى

٣٨ - يملك ويحكم

١٦٦ - في مادة الدستور التي يتم تدريسها في كليات الحقوق تتعرض المادة لنظم الحكم ومنها نظام الملكية الذي تعرفه بأنه نظام «يملك فيه الملك ولا يحكم» فهو رمز الدولة، أما سلطة الحكم فيباشرها وزراء الأحزاب التي تعبر عن مشيئة الشعب من خلال الانتخابات التي تجيء بهم.. وقد قيلت حكايات كثيرة معظمها صحيح عن سهرات فاروق على موائد القمار وسهراته الأخرى الماجنة بحيث تصور كثيرون أنه تفرغ لهذه المباذل بسبب عدم توليه أي شأن من شئون الدولة يمكن أن يشغله، بينما كان فاروق في حقيقته ديكتاتورا قويا يملك بين يديه كل أمور وشئون الدولة مما جعله يملك ويحكم ويتحكم.

ولعل التقرير الذي كتبه سليمان حافظ عن لقائه بفاروق وهو يقدم إليه وثيقة التنازل (فقرة ١٦٤) وإمساك فاروق بوثيقة التنازل وقراءته لها كلمة كلمة والحوار الذي أداره مع سليمان حافظ حول إضافة كلمة (إرادتنا).. كل هذا يبين أنه كان دقيقا في ما يقرأه رغم صعوبة الظروف التي كان يواجهها في تلك اللحظات.

١٦٧ - في كتابه «عشر سنوات مع فاروق» الذي كتبه كريم ثابت الذي لم يكن المستشار الصحفي لفاروق فقط بل كان من أقرب الناس إليه في الفترة من سنة ١٩٤٢ إلى ١٩٥٢ كتب كريم ثابت تحت عنوان «الدستور غير المكتوب»: ما كدت أعين مستشارا صحفيا وأشرع في مباشرة عملي في عابدين حتى اكتشفت أن العلاقات بين القصر والحكومة تقوم على دستورين: أحدهما: مكتوب ومعروف للشعب وهو الدستور الرسمي للدولة، وقد فصل بين السلطات والاختصاصات وبين الحقوق والواجبات. والآخر: غير مكتوب وغير معروف للشعب، أو بعبارة أصدق مكتوم عن الشعب... لقد اكتشفت أن الحكومة لا تعمل عملا واحدا قبل أن تخاطب القصر في موضوعه وتستطلع رأي الملك في شأنه.. فكل جدول أعمال جلسات مجلس الوزراء كان يرسل إلى القصر قبل الجلسة لرفعه إلى الملك الذي كان يبدي في شأنه ما يشاء. فإذا أمر بحذف موضوع منه حذف.. وإذا أمر بإرجائه أرجئ. وكانت

جميع الترشيحات للمناصب الحكومية من درجة مدير عام فما يعلوها تعرض على القصر إما شفهيا أو كتابة ليقول الملك كلمته فيها بما فى ذلك المناصب الفنية التى لا تمت إلى سياسة الدولة الداخلية أو الخارجية بصلة كمنصب مدير عام مصلحة المجارى أو التنظيم. وكانت الحكومة تعرض أحيانا - تسهيلا للعمل اسمى مرشحين اثنين أو ثلاثة ليختار الملك أحدهما.. ولم يكن وزير الخارجية يمنح سفيرا أو وزيرا مفوضا إجازة عادية أو استثنائية إلا بعد عرض الأمر على القصر، ولم تكن مشروعات حركات ترقيات وتعيينات وتنقلات ضباط البوليس ورجال القضاء والنيابة ورجال الرى والصحة وما إليها، وبالطبع جميع مشروعات حركات الترقيات فى الجيش تعتمد إلا بعد عرضها على القصر ونيل موافقته عليها.. وإلى جانب ذلك كانت هناك أمور لا تحصى اعتادوا أن يستأذنوا الملك فيها.. كانوا يستأذنونه فى مواعيد المحمل، وفى مواعيد تغيير ملابس رجال الجيش والبوليس صيفا وشتاء، وفى مواعيد سفر السفراء والوزراء المفوضين وخطاب العرش وجميع الكلمات التى تلقى فى الاحتفالات التى يحضرها. ولم يحدث أن اعترضت حكومة أو وزارة على هذا الدستور غير المكتوب!

٣٩ - أوضاع جديدة

١٦٨- لم يستطع أى واحد من قادة الضباط الأحرار تسمية ما قاموا به ليلة ٢٣ يوليو ثورة فلم تكن لديهم نوايا تغيير نظام الحكم أو الاستيلاء عليه لتغييره أو أى برنامج يحلمون به إذا ما أتيح لهم الحكم.

وإذا كانت الانقلابات العسكرية هدفها دوما الاستيلاء على السلطة، فلقد كان هدف انقلاب ٢٣ يوليو فى ساعاته الأولى «الاستيلاء على السلطة داخل الجيش» وليس «الاستيلاء على السلطة داخل الدولة» على أساس أن الإمساك بالسلطة داخل الجيش يمكنهم من إجبار فاروق على الاستجابة لمطالبهم بتطهير الجيش من «المرتشين المغرضين» الذين تسببوا فى هزيمة الجيش فى حرب فلسطين، ومن الذين «تولوا أمر هذا الجيش بعد الحرب من الجهلة والخونة والفاسدين حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها» وذلك كما جاء فى البيان الأول للحركة.

١٦٩- تضافرت الأسباب التى ذكرتها (فقرات من ١٥٢ إلى ١٥٦) فى سرعة إنهاء عملية الاستيلاء على الجيش بصورة لم يتوقعها عبد الناصر وزملاؤه، الأمر الذى جعلهم يقررون بسرعة عزل الملك فاروق وإجباره على التنازل، وبذلك يقطعون رأس أى تآمر يمكن أن يهددهم من ناحيته فى حالة استمرار وجوده داخل مصر.

١٧٠- لم ينته دور الضباط عند هذا الحد، كما تصوروا... فمع خروج فاروق بدأت أوضاع جديدة لم يضع لها جمال عبد الناصر وزملاؤه أية حسابات...

فهناك ملك رحل، ولكن هناك نظام حكم مازال ملكيا يقضى فى حالة عدم وصول خليفته (أحمد فؤاد) إلى السن القانونية إنشاء مجلس وصاية على العرش.

وهناك دستور يقضى بأن يتولى مجلس النواب التصديق على قرار إنشاء مجلس الوصاية، بينما مجلس النواب الذى له هذا الحق منحل من ثلاثة أشهر..

وهناك رئيس وزراء ووزراء أقسموا اليمين أمام الملك (قبل تنازله) وأخذوا

شرعيتهم من تكليفه لهم، بينما هناك مجلس قيادة للحركة يشعر أعضاؤه بأنهم أقوى من الملك الذى خرج، وأقوى من أى جهة أخرى.

وهكذا فإنه منذ الدقائق الأولى التى خيل فيها لضباط يوليو أنهم حققوا هدفهم بتطهير الجيش فإنهم وجدوا أنفسهم أمام مشكلات جديدة وعديدة كان لابد أن يلجئوا فيها إلى خبراء القانون الذين كان فيهم من وصفوا بأنهم على استعداد لتفصيل القانون، وتسهيل طريقهم للسيطرة على الحكم بعد أن سيطروا على الجيش...

٤٠ - الإصلاح الزراعى

١٧١- فى الأسبوع الأول من أغسطس ١٩٥٢ نشر الأهرام مقالا للدكتور راشد البراوى أستاذ الاقتصاد عنوانه : اقتصادى يقترح إعادة توزيع الثروة الزراعية، وتحديد الملكية ، وفى اليوم نفسه استدعى جمال عبدالناصر كاتب المقال، وكلفه بتحويل أفكاره إلى مشروع ما أن طرحه على زملائه حتى قرروا تبنيه وتكليف زميلهم جمال سالم بالتفرغ لدراسته وإعداده فى صورته النهائية مع الدكتور عبد الرازق السنهورى رئيس مجلس الدولة، ونائبه المستشار سليمان حافظ.

١٧٢ - كانت مساحة الأرض الزراعية عام ١٩٥٢ أقل قليلا من ستة ملايين فدان تتوزع ملكيتها بين ثلاث كتل.. الأولى أقل من نصف فى المئة، وتملك وحدها ٣٥٪ من كل الأرض بمعدل ٢٠٠ فدان فأكثر لـ ١١٨٠٠ مالك، ونحو ١٤٥ ألف مالك **يملكون ٦٪ من الأرض بمتوسط ١٢ فدانا، وأكثر من مليونين يملكون باقى الأرض** بمتوسط ٢١ قيراطا(*).

١٧٣ - كان عضو مجلس الشيوخ المستقل محمد خطاب أول من أثار الحديث عن تحديد الملكية الزراعية عندما تقدم عام ١٩٤٥ بمشروع قانون يضاعف الضريبة

(*) كانت مساحة الأرض الزراعية فى مصر عام ١٩٥٢ فى حدود ٥,٩٦٢,٦٦٢ فدانا يملكها ٢,٧٦٠,٦٦١ مالكا موزعين كالتالى: ١,٤٥٩,١٦٧ يملك كل منهم لغاية نصف فدان بمجموع ملكية ٤١٣٥٥١ فدانا.

- ٥٢٢١٦٢ مالكا يملك كل منهم من نصف إلى فدان بمجموع ملكية ٣٦٥,٦٩٥ فدانا.
- ٣٢٧٦١٢ مالكا يملك كل منهم من فدان إلى فدانين بمجموع ملكية ٤٤٩١٨٦ فدانا.
- ١٥٣,٢٩٣ مالكا يملك كل منهم من ٢ إلى ٣ أفدنة بمجموع ملكية ٣٥٤٨٥٥ فدانا.
- ٨١٣٦٦ مالكا يملك كل منهم من ٣ إلى ٤ أفدنة، بمجموع ملكية ٢٤٧.١٧ فدانا.
- ٥٦٥٨٩ مالكا يملك كل منهم من ٤ إلى ٥ أفدنة بمجموع ملكية ٢٤٧.١٧ فدانا.
- ٢٢١٥ مالكا تزيد ملكية كل منهم على ٢٠٠ فدان بمجموع ملكية ١,٢٠٨,٤٩٣ فدانا، ومن هؤلاء ٦١ مالكا يملك كل منهم أكثر من ٢٠٠٠ فدان بمجموع ٢٧٧٢٠٨ أفدنة، و٢٨ مالكا يملك كل منهم أكثر من ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ فدان بمجموع ٩٧٤٥٤ فدانا، و٩٩ مالكا يملك كل منهم أكثر من ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ فدان بمجموع ١٢٢٢١٦ فدانا، و٩٢ مالكا يملك كل منهم أكثر من ٨٠٠ فدان إلى ١٠٠٠ فدان بمجموع ٨٦٤٨٣ فدانا.

الزراعية على الملكية التى لا تتجاوز ١٠٠ فدان، ورغم أن المشرع الذى قدمه بعد مناقشات مطولة كان يقضى بألا يسرى على أصحاب الأراضى وقت صدور القانون ولا على أولادهم إلا أنه لقى معارضة شديدة انتهت برفضه، ولكن ظل النائب إبراهيم شكرى ممثل دائرة شربين بمحافظة الدقهلية والعضو البارز قبل الثورة فى حزب مصر الفتاة يثير فى كل مناسبة الحديث عن موضوع تحديد الملكية الزراعية.

١٧٤ - انزعج على ماهر رئيس الوزراء عندما عرض عليه جمال عبدالناصر وجمال سالم مشروعا لتحديد الملكية الزراعية، وأعلن أنه إجراء يخالف الدستور، وبعد مساومة اقترح فرض ضريبة تصاعدية بدلا من تحديد الملكية ثم عاد ووافق على تحديد الملكية بحد أقصى ٥٠٠ فدان ولكن عبدالناصر رفض.

١٧٥ - حسب رواية جمال عبدالناصر (خطاب له يوم ١٣ أبريل ١٩٥٤) فإنه ذهب مع عبدالحكيم عامر، والتقى بفؤاد سراج الدين الرجل الثانى فى حزب الوفد فى منزل ضابط قريب له اسمه شاهين سراج الدين، وأبلغ عبدالناصر فؤاد سراج الدين أن الشرط الأول لعودة مجلس النواب الوفدى الذي كان منحلا من ثلاثة أشهر أو إجراء انتخابات جديدة هو أن يقر الوفد تحديد الملكية، ولكن فؤاد سراج الدين «أجابنا بأن تحديد الملكية سيخرب البلد، وأننا فى هذه الحالة لا نستطيع السيطرة على الفلاحين».

١٧٦ - رفض على ماهر إدراج مشروع قانون الإصلاح الزراعى فى جدول مجلس الوزراء لإصداره بعد أن تم تحديد ٢٠٠ فدان حدا أقصى للملكية فى اجتماع ضم الوزراء وأعضاء قيادة الحركة ولكن على ماهر أخذ المشروع وأغلق عليه درج مكتبه وقيل إنه استجاب لضغوط السياسيين القدامى الذين حذروه من نتائج المشروع إذا رأى النور.

١٧٧ - فى هذا الجو همس سليمان حافظ فى أذن عبدالناصر بأن هذا المشروع لابد أن تنفذه الثورة مباشرة ... وفى يوم ٧ سبتمبر ١٩٥٢ أقيلت وزارة على ماهر ورأس اللواء محمد نجيب الوزارة التى عين فيها سليمان حافظ نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية، وفى يوم ٢ سبتمبر صدر قانون الإصلاح الزراعى الذى طبق على ١٢٦٠ مالكا.

٤١ - ثنائى إعداد القوانين

١٧٨- فى كتابه الآن أتكلم (صدر عام ٩٢) قال خالد محيى الدين أحد قادة حركة يوليو: «للتاريخ أسجل أن الدكتور عبد الرازق السنهورى، وسليمان حافظ، وعلى ماهر كانوا جميعا يحرضون الضباط على تجاهل البرلمان والدستور». وقد استغرق دور على ماهر مع الثورة ٤٥ يوما، أما السنهورى وسليمان حافظ فقد استمر دورهما إلى ما بعد ذلك.

١٧٩- ولد عبد الرازق السنهورى وسليمان حافظ فى الإسكندرية فى سنتين متتاليتين (١٨٩٥ و١٨٩٦) ودرس الاثنان القانون فى كلية الحقوق لكن شهرة السنهورى سبقت فقد حصل على ست درجات دكتوراه، ووضع القانون المدنى الحالى، بالإضافة إلى وضعه أكبر موسوعة فى الفقه الإسلامى. وقد دخل السنهورى السياسة من باب الحزب السعدى المنشق على الوفد، وتولى وزارة المعارف فى وزارتى محمود فهمى النقراشى، وإبراهيم عبد الهادى (من ديسمبر ٤٦ إلى يوليو ٤٩)، وبعد ذلك أصبح رئيسا لمجلس الدولة فى الوقت الذى شغل فيه سليمان حافظ ـ وهو أيضا كاره للوفد ـ منصب نائب رئيس مجلس الدولة.

١٨٠- عند قيام الثورة كان البرلمان الذى يتولى مهمة التشريع منحلا فاعتمد قادة الثورة على السنهورى وسليمان حافظ فى مختلف المسائل القانونية، وعقب فشل عبد الناصر فى إقناع على ماهر بإصدار قانون الإصلاح الزراعى، وضرورة تشكيل وزارة جديدة لإصدار القانون وقع الاختيار فى اجتماع عقده مجلس قيادة الثورة بحضور محمد نجيب على الدكتور السنهورى لرئاسة الوزارة، ولكن على صبرى أبلغ الاجتماع أن الأمريكيين لا يرحبون به لأنه سبق أن اشترك السنهورى فى توقيع بيان لمجلس السلم العالمى، وهو مجلس تتهمه الولايات المتحدة بالشيوعية، واعترف السنهورى بأنه بالفعل وقع هذا البيان لا عن عقيدة وإنما مجاملة لأحد الأشخاص الذى كان يسعى للحصول على توقيع من يلتقى به على البيان. ومع ذلك اعتذر السنهورى فى الاجتماع عن عدم رئاسة الوزارة، ورشح سليمان حافظ لذلك،

لكن الأخير اعتذر فاستقر الرأى فى الاجتماع نفسه على محمد نجيب، وتم تعيين سليمان حافظ معه نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية من ٧ سبتمبر ٥٢ إلا أنه ترك الوزارة يوم ١٨ يونيو ٥٣ وخلفه فى المنصب نفسه جمال عبد الناصر نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية وكانت أول مرة يتولى فيها جمال عبد الناصر العمل الوزارى.

١٨١- كان من بين الفتاوى القانونية التى أصدرها السنهورى وسليمان حافظ فتوى بعدم إعادة مجلس النواب المنحل للتصديق على مجلس الوصاية على العرش كما كان يقضى الدستور، وأعلن الاثنان أن الظروف الاستثنائية التى تواجه مصر تعطى مجلس الوزراء القيام بمهمة البرلمان المنحل. (تنص المادة ٥١ من الدستور الذى كان معمولا به وقت قيام الثورة ألا يتولى أوصياء مصر عملهم إلا بعد أن يؤدوا أمام مجلس النواب والشيوخ مجتمعين اليمين التى يؤديها أمامهم الملك قبل مباشرة سلطته الدستورية. وفى حالة إذا كان المجلس منحلا فإن هذا المجلس بمقتضى المادة ٥٢ من الدستور يعود لمباشرة أعماله حتى يجتمع المجلس الذى يخلفه. وقد انقسم الرأى فى بداية الثورة ما بين مطالب بإجراء انتخابات جديدة لمجلس نواب جديد وما بين مطالب بدعوة المجلس المنحل. وقد ذكر المستشار سليمان حافظ نائب رئيس مجلس الدولة أنه أبلغ على ماهر رئيس الوزراء أن مداولات مجلس الدولة حول هذا الموضوع انتهت إلى أن نص الدستور على دعوة مجلس النواب فى حالة وفاة الملك هو استثناء لايجوز القياس عليه عند نزول الملك عن العرش لأن هذه حالة لم يتضمنها الدستور بنص، وعلى هذا فلابد من إجراء انتخابات لمجلس جديد. ولكن لأن إجراء هذه الانتخابات يتطلب وقتا فليس ما يمنع من إنشاء وصاية مؤقتة وهذا ماأخذ به ضباط الثورة).

ومن المفارقات أنه على الرغم من دور السنهورى مع الثورة، فإنه عندما بدرت منه إشارة فهم منها تأييده لمحمد نجيب فى صراعه ضد عبد الناصر فقد ذهبت مظاهرة يوم ٢٩ مارس ١٩٥٤ إلى مجلس الدولة اقتحمت مبنى المجلس واعتدت بالضرب على الدكتور السنهورى رئيس المجلس الذى لم يعد من يومها إلى المجلس إلى أن مات عام ١٩٧١.

٤٢ - الطريق إلى السلطة

١٨٢- أعطى رئيس مجلس الدولة ونائبه (ثنائى إعداد القوانين) مجلس الوزراء حق إصدار ما يريد من القوانين والقرارات فى الوقت الذي حرم فيه أى مواطن أو جهة من الطعن فيها أمام أى جهة قضائية، ولما كان مجلس الوزراء يستمد قوته الحقيقية وتوجيهاته من مجلس قيادة الثورة برئاسة جمال عبدالناصر فقد أصبح الطريق مفتوحا أمام ضباط يوليو لإصدار ما يريدون.

١٨٣ - فى يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٢ الذى أصدرت فيه حكومة اللواء محمد نجيب (التى خلفت حكومة على ماهر) قانون الإصلاح الزراعى صدر قانون آخر بشأن (تنظيم الأحزاب السياسية) يدعو من يرغب فى تكوين حزب سياسى إلى إخطار وزارة الداخلية ببيان يوضح أهداف الحزب وأسماء أعضائه، ومصادر تمويله، وعلى أساس أن تجرى الانتخابات البرلمانية بين هذه الأحزاب بعد إقرارها فى منتصف فبراير ١٩٥٣. وفى خلال شهر تقدم ٢٢ حزبا إلى وزير الداخلية المستشار سليمان حافظ الذى وجدها فرصة لممارسة رغباته الدفينة فى الاعتراض على قيد بعض الأسماء، وكان أول من اعترض عليهم اسم مصطفى النحاس الذى اختاره حزب الوفد رئيسا شرفيا.. وعلى الرغم من أن قادة الثورة كانوا بحسب تصريحاتهم يفكرون فى عودة الأحزاب، وإجراء الانتخابات فقد شجع الدور الذى قام به سليمان حافظ على تغيير هذه الفكرة وحرك أطماعهم فى تولى الحكم بأنفسهم. وفى منتصف يناير ٥٣ صدر قرار بحل جميع الأحزاب ومصادرة أموالها - باستثناء جماعة الإخوان المسلمين - وإعلان قيام فترة انتقال مدتها ٣ سنوات يتم خلالها إعداد دستور جديد وتهيئة البلاد لأوضاع سياسية جديدة. وفى الوقت نفسه تم الإعلان عن تشكيل (هيئة التحرير) لتملأ الفراغ الذى تركه إلغاء الأحزاب وتكون بمثابة جبهة قومية تضم جميع الجماهير، وفيما بعد أخذت هذه الهيئة اسم الاتحاد القومى، ثم الاتحاد الاشتراكى.

١٨٤- أغضب إلغاء الأحزاب مجموعة من ضباط سلاح المدفعية الذين كان لهم

دور بارز ليلة ٢٣ يوليو ووجدوا فى القرار اتجاها بالثورة إلى طريق الديكتاتورية. يضاف إلى ذلك عدم معرفة الكثير من هؤلاء الضباط أنه فى خلال أيام العمل السرى فى خلايا الضباط الأحرار قبل ٢٣ يوليو كانت هناك لجنة قيادة للتنظيم هى التى أصبحت تشكل مجلس قيادة الثورة بعد نجاح الحركة. ولذلك تصور كثيرون أن هؤلاء الضباط استولوا بقوتهم على امتيازات السلطة، بينما جميع الضباط باعتبارهم شاركوا بدور واحد ليلة ٢٣ يوليو يعتبرون متساوين ولايجب أن تمنح مجموعة نفسها امتيازا خاصا.. ولهذا راح ضباط المدفعية يهاجمون هذه المجموعة بقيادة جمال عبد الناصر وينتقدون تصرفاتهم إلى حد التلويح بالانقلاب ضدهم، فتم القبض عليهم ومحاكمتهم عسكريا وسجنهم.

١٨٥- احتج البكباشى يوسف منصور صديق، بطل الدور الخاص ليلة ٢٣ يوليو، على القبض على ضباط المدفعية، وكان قد تم ضمه إلى مجلس قيادة الثورة يوم ٢٧ يوليو مكافأة له على ما قام به ليلة الثورة، ولكنه كان أول من انشق على المجموعة وابتعد عنها فى الوقت الذى تزايد فيه الصراع على السلطة.

٤٣ - عزل محمد نجيب

١٨٦- لفت تمرد ضباط سلاح المدفعية جمال عبد الناصر إلى ضرورة السيطرة على الجيش باعتباره السلاح الرئيسى الذى يمتلك القوة من امتلكه.. ولسابق معرفة عبدالناصر بالعمل السرى داخل الجيش، وأنه الذى جاء به إلى السلطة التى وصل إليها، فلقد كان ضروريا بالنسبة له منع قيام أى فرد أو مجموعة أخرى بتكرار مافعله من خلال إسناد قيادة الجيش إلى شخص يثق به ثقة مطلقة وتكون مهمته الأساسية تنقية الجيش من أى فكر تنظيمى يهدد بانقلابات عسكرية جديدة،واختار عبدالناصر لهذه المهمة أقرب أصدقائه عبدالحكيم عامر ورقاه من صاغ إلى لواء ثم إلى مشير، ورغم غضب الزملاء إلا أنه عمليا طوال ١٤ سنة تولى فيها عامر قيادة الجيش لم يحدث أن نجحت مؤامرة واحدة داخل الجيش.

١٨٧ - فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ أعلن مجلس قيادة الثورة إسقاط حكم الملكية وإعلان مصر جمهورية، وتولى اللواء محمد نجيب رئاسة الجمهورية على أن يستمر هذا الوضع لفترة انتقالية ثلاث سنوات يتم بعدها اختيار شخص الرئيس عند إقرار الدستور الجديد.

وفى اليوم نفسه - ١٨ يونيو ١٩٥٣ - أعاد محمد نجيب تشكيل وزارته، ولكن بعد أن خرج منها سليمان حافظ الذى أصبح مستشارا، فى الوقت الذى تولى فيه جمال عبدالناصر منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية.

١٨٨ - كان من الطبيعى أن تتحول العلاقة بين عبدالناصر، ومحمد نجيب إلى صراع مكشوف على السلطة أساسه أن الأول يمثل القوة الحقيقية التى ينتمى إليها بحكم السن أعضاء مجلس الثورة والضباط الأحرار، بينما الثانى (محمد نجيب) يمثل قوة شكلية احتاجها الضباط الشبان فى بداية حركتهم لكسب تأييد الآخرين. وأدى صراع القوتين والجيلين إلى إصدار مجلس قيادة الثورة - اطمئنانا إلى أن الجيش معهم - قرارا بقبول استقالة محمد نجيب وإعلان بيان يصفه بالديكتاتورية

والارتماء فى أحضان الأحزاب السياسية والإخوان المسلمين والشيوعيين، وكانت المفاجأة خروج كتل جماهيرية كبيرة تعلن تأييدها لمحمد نجيب وأخطر من ذلك انضمام عدد من ضباط سلاح الفرسان إلى جانب نجيب. وفى مواجهة هذه التطورات التى فاجأت عبد الناصر ومجموعة زملائه فى القيادة اضطر عبدالناصر إلى التظاهر بالتراجع عن قرارات عزل محمد نجيب فى الوقت الذى راح يعيد فيه تجميع القوات المؤيدة له داخل الجيش، وإجراء مناورة اشتهرت بأزمة مارس ٥٤ تمكن فيها عبدالناصر من تجريد نجيب من أنصاره فى سلاح الفرسان داخل الجيش والذى نجح فى القبض عليهم ومحاكمتهم، وبذلك أصبح محمد نجيب اعتبارا من شهر أبريل ٥٤ شبه معزول عن الجيش، أما بالنسبة للجماهير فقد راح جمال عبد الناصر يكثف من ظهوره وإبراز دوره فى محادثات الجلاء. ويكتسب شعبيته، وفى أكتوبر ١٩٥٤ كان موعد التخلص من الإخوان المسلمين الذين كانوا يقفون إلى جانب محمد نجيب، فقد تعرض جمال عبد الناصر أثناء إلقائه خطابا فى ميدان المنشية بالإسكندرية إلى إطلاق الرصاص عليه من شاب اسمه محمود عبد اللطيف تبين أنه عضو فى الإخوان المسلمين، واعترف بأنه قام بجريمته باتفاق مع قادة الجماعة.. وقد تم القبض على آلاف الإخوان ومحاكمة قادتهم وإعدام عدد منهم.

١٨٩ - بحل الأحزاب، وتصفية الجيوب العسكرية المناهضة، واعتقال الإخوان المسلمين وتوزيع الضباط على مختلف المناصب المدنية وإعفاء محمد نجيب من رئاسة الجمهورية ومعاملته أسوأ معاملة، وتحديد إقامته فى ڤيللا مهجورة فى المرج لم يخرج منها إلا بعد تولى أنور السادات، انفرد جمال عبدالناصر بالسلطة، وفى ٢٣ يونيو ١٩٥٦ جاءت نتيجة أول استفتاء على الرئاسة معلنة فوز عبدالناصر بـ ٩٧,٦٪ ليكون ثانى رئيس لمصر رغم محاولات محو اسم نجيب من سجل الرئاسة!

٤٤ - انتصار وانكسار

١٩٠- كان من الطبيعي مادام الحكم لم يكن هدف ضباط يوليو ألا يكون لهم أي برنامج أو منهج يحدد طريقهم... فلما تغيرت الظروف وتولوا الحكم أصبح ضروريا البحث عن برنامج... وليس صحيحا أنه كانت هناك ستة أهداف تضمنتها منشورات الضباط الأحرار أو مناقشاتهم، فقد كان تركيزهم على إصلاح الجيش... وأول مرة ظهرت فيها الأهداف الستة كانت في الخطاب الذي ألقاه جمال عبدالناصر يوم ١٨ أبريل ١٩٥٥ أمام مؤتمر باندونج في أندونيسيا، وبعد ذلك ظهرت هذه الأهداف في ديباجة دستور ١٩٥٦ الذي انتهت الثورة إلى وضعه، والذي تضمن : القضاء على الاستعمار وأعوانه، القضاء على الإقطاع، القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم، إقامة جيش وطني قوي، إقامة عدالة اجتماعية، إقامة حياة ديمقراطية سليمة.

١٩١ - إلا أن هذه الأهداف لا تمثل في حد ذاتها برنامج عمل فتحقيق كل منها يحتاج إلى برنامج، وأول برنامج عمل أعلنه عبد الناصر كان الميثاق الوطني (٢١ مايو ١٩٦٢) أما قبل ذلك فإنه اتبع سياسة التجربة والخطأ مما جعله يغير مواقفه تبعا لمقتضيات الظروف.

وأوضح دليل على ذلك معاداته في بداية الثورة للشيوعية والشيوعيين ثم معاداته للولايات المتحدة والغرب وارتباطه بالاتحاد السوفيتي رغم أنه لم يكن شيوعيا، ثم أكثر من ذلك استخدام المنهج الشيوعي في إضعاف قدرات رأس المال خوفا من تطلعاته السياسية عن طريق التأميمات التي تناولت مشروعات صغيرة عادية.

وكان من نتيجة عدم وجود برنامج واضح للثورة ظهور عشرات الشعارات المختلفة التي كان يتم رفع كل شعار فيها فترة والحديث عنه طويلا إلى أن يأتي شعار آخر جديد يغطي على الشعار الذي سبقه.. وهكذا.

١٩٢ - وفي مسيرته دخل عبدالناصر عديدا من المعارك التي توج بعضها

بالنصر وانتهى بعضها بالانكسار .. وكان الغريب أن سنوات الخمسينيات كانت سنوات الانتصار، وأن معظم سنوات الستينيات كانت سنوات الانكسار...

١٩٣ - لقد شهدت الخمسينيات ملحمة قناة السويس بانتصارها العظيم الذى توج ببناء السد العالى وشهدت الستينيات هزيمة يونيو الكئيبة. وفى الخمسينيات حمل الاحتلال الإنجليزى عصاه وخرج آخر جندى بريطانى يوم ١٣ يونيو ١٩٥٦، وفى ١٣ يونيو ١٩٦٧ كانت إسرائيل قد احتلت سيناء، وأصبحت تقف على شاطئ القناة.

١٩٤ - وفى الخمسينيات جرت الوحدة مع سوريا، وفى الستينيات وقع الانفصال، وفى الخمسينيات ساهمت مصر فى تحرير الجزائر دون أن ترسل إليها جنديا واحدا، وفى الستينيات أرسلت مصر أكثر من ٧٠ ألف جندى إلى حرب اليمن، وفى الخمسينيات قام جمال عبدالناصر بتمصير المشروعات الأجنبية، وفى الستينيات طالت التأميمات مئات المصريين ومنهم أصحاب مشروعات صغيرة، وفى الخمسينيات عمل أعضاء مجلس قيادة الثورة فريقا متناغما، وفى الستينيات اعتزل معظم هؤلاء الأعضاء نتيجة اختلافهم مع عبد الناصر، وكان عبدالحكيم عامر أقرب أصدقاء عبدالناصر آخر من فقدهم!

٤٥ - حساب الثورة

١٩٥- حققت ثورة يوليو بقيادة جمال عبدالناصر إلغاء الملكية ونقل الحكم إلى يد الشعب ورفع مستوى الفلاحين عن طريق الإصلاح الزراعى وزيادة أجور الفلاحين، ومجانية الجامعات، وإقامة المصانع والسد العالى وتمصير الاقتصاد، والتأمينات الاجتماعية، وتأميم قناة السويس، ورفع المستوى الاقتصادى للعمال ووضع مصر فى قلب العرب، ووضع العرب فى قلب العالم.

١٩٦ - ولكن ... وحتى لا أنفرد بلكن هذه فإننى أنقل على لسان أقرب الذين التصقوا بعبدالعناصر فكرا وإنسانيا ما كتبه الكاتب الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل فى مقالات نشرها بجريدة الأنوار اللبنانية عام ١٩٧٥ فى مناسبة ٢٣ سنة على ثورة ٢٣ يوليو.. وكانت من أوائل المقالات التى كتبها ونشرها خارج مصر بعد أن ترك الأهرام فى فبراير ١٩٧٤.

١٩٧ - قال هيكل بالنص : إن الالتزام بفكر ومبادئ الثورة العربية كما عبر عنها جمال عبدالناصر ليس مانعا من نقد أخطاء شابت التجربة الناصرية وأثرت دون شك على مسيرتها.

أقول ذلك بضمير مستريح والسجل حاضر وشاهد. ذلك أننى فى حياة عبدالناصر وفى ظل سلطته - والكلام على لسان هيكل - نقدت عجز الاتحاد الاشتراكى، وقصور البيروقراطية، وتجاوز أجهزة الأمن، وصككت عبارة زوار الفجر، وطالبت بالتروى فى فرض الحراسات، وفى الاعتقالات، وفى الفصل من أى عمل بقرار من أى سلطة، وناديت باحترام أحكام القضاء، وبحرية المناقشات خصوصا فى الجامعات، وبأن يكون أهل الخبرة هم أهل الثقة، ودعوت إلى مجتمع مفتوح يسود فيه القانون وتسقط فيه مراكز القوى.

ورغم ما وجه إلى هذه السلبيات من انتقادات كما كتب هيكل إلا أنها - هذه السلبيات - ظلت سمة من سمات الثورة.

١٩٨ – وغير ذلك قال هيكل : ولربما كان الخطأ الأكبر للممارسة الناصرية هو فشلها فى أن تتحول إلى مؤسسات تستطيع البقاء بعد سلطة الفرد وبعد وجوده.. وحين أتحدث عن مؤسسات – والكلام مازال على لسان هيكل – فإننى لا أتحدث عن واجهات وإنما عن تنظيمات حقيقية تعبر عن الحركة الحية والخلاقة لجماهير قد تتجسد أمانيها لبعض الوقت فى رجل واحد، ولكن ذلك ليس ولا يصح أن يكون بديلا لضرورة التنظيم بحيث لاتتعطل الإرادة الشعبية إذا تعطل دور الرجل الواحد لسبب من الأسباب. والخطأ الذى وقعت فيه الممارسة الناصرية – والكلام مازال لهيكل – لا يقتصر على التنظيم السياسى وحده، وإنما يمتد أيضا إلى كل أنواع التنظيم المعاونة للتنظيم السياسى وبينها التنظيم النقابى للعمال، وتنظيم الفلاحين وتنظيم الشباب إلى آخره (انتهى المنقول على لسان هيكل).

١٩٩ – وربما كان هناك توصيف لجمال عبد الناصر بأنه حكم لصالح الشعب ولكنه لم يحكم بواسطة الشعب وفرق كبير بين الاثنين، وعندما سألتنى فتاة صحفية بمناسبة مرور ٥٠ عاما على الثورة ما الذى بقى من ثورة يوليو قلت لها على الفور : أنتم .. قالت : ماذا تعنى ؟ قلت مكررا: أنتم.. أليس كل من هو دون الخمسين هو من إنتاج ثورة يوليو، وأليس التأمل فى هذا النتاج وعطائه هو الحساب الحقيقى للثورة؟!

الجزء الثانى

حكاية يونيو ١٩٦٧

حكاية يونيو ١٩٦٧

إن كان على الهزيمة فكل الدول عبر التاريخ بما فى ذلك أمريكا وبريطانيا وفرنسا وغيرها هزمت فى معارك وحروب كثيرة .. ولكن هزيمة يونيو ٦٧ تختلف بسبب الآثار العميقة والواسعة التى أحدثتها بالنسبة لقضية الصراع العربى الإسرائيلى ... فرغم مرور ٣٥ سنة (حتى عام ٢٠٠٢) على هذه الهزيمة فمازال العالم العربى يتجرع آثارها .. مازالت الجولان السورية محتلة .. ومازال الفلسطينيون يعانون ويكافحون .. ومازال العرب يبحثون عن ضوء فى آخر النفق المظلم. ولهذا حرصت أن أقدم للأجيال بكل الأمانة وبنفس الطريقة - الإيجاز دون خلل - أسرار الحكاية التى لم تنته فصولها بعد .. لقد غسلت حرب أكتوبر آثار الهزيمة العسكرية فى يونيو .. واستكمل السادات برحلته غير العادية إلى القدس استرداد باقى سيناء .. ورغم ذلك مازال للحدث أصداؤه.

١ ـ الحشود على سوريا

أكتب إلى الشباب الذى لم يحضر أحداث يونيو ٦٧ لألخص له فى إيجاز أمين سيناريو الأحداث التى أدت إلى الهزيمة فى يونيو ٦٧ بقصد المعرفة والاستفادة.

١ ـ فى ١٢ مايو ١٩٦٧ تلقت مصر معلومات مصدرها موسكو بأن إسرائيل تحشد قواتها على الجبهة السورية استعدادا لعمل عسكرى ضد سوريا.

٢ ـ فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ١٤ مايو ٦٧ أصدرت القيادة العسكرية تعليماتها بتعبئة القوات المسلحة المصرية وحشدها فى داخل سيناء التى كانت قبل هذا التاريخ خالية من القوات العسكرية إلا من قوات محددة.

٣ ـ فى نفس اليوم (١٤ مايو) قام المشير عبدالحكيم عامر نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة (كان جمال عبدالناصر هو القائد الأعلى) بتكليف الفريق محمد فوزى رئيس أركان القوات المسلحة بالسفر إلى دمشق للتحقق من صحة المعلومات التى وردت من موسكو عن الحشد الإسرائيلى على حدود سوريا. سافر الفريق فوزى وأمضى ٢٤ ساعة تفقد فيها قيادة جبهة سوريا، وكانت كل المعلومات التى تلقاها من السوريين العسكريين فى قيادة الأركان وفى الجبهة عدم صحة هذه المعلومات الخاصة بالحشود الإسرائيلية، وأكدت ذلك صور الاستطلاعات الجوية التى التقطتها الطائرات السورية يومى ١٢ و١٣ مايو ولم يكن فيها أى جديد. وفى يوم ١٥ مايو عاد محمد فوزى إلى مصر وقدم تقريرا بذلك إلى المشير عبدالحكيم عامر.

٤ ـ كان من آثار العدوان الثلاثى على مصر عام ٥٦ واشتراك إسرائيل فى هذا العدوان أن تم من خلال مجلس الأمن والأمم المتحدة وضع ترتيبات توفر الهدوء عن طريق نشر قوات دولية على الحدود بين مصر وإسرائيل فى داخل سيناء وفى منطقة شرم الشيخ التى تطل على خليج العقبة وهو المنفذ الوحيد لمرور السفن

الإسرائيلية المتجهة إلى ميناء إيلات الإسرائيلى. ومنذ تم نشر هذه القوات الدولية لم يقع أى حادث عسكرى واحد بين مصر وإسرائيل.

٥ - برغم تقرير رئيس الأركان الذى سافر إلى سوريا عن عدم وجود حشود إسرائيلية فقد أرسلت مصر يوم ١٦ مايو (فى اليوم التالى لعودة فوزى) رسالة إلى قائد قوات الطوارئ الدولية فى سيناء بسحب قواته الدولية من سيناء دون الإشارة إلى سحب القوات الدولية الموجودة فى شرم الشيخ والمختصة بضمان الملاحة الإسرائيلية فى مضيق تيران.

إلا أن السكرتير العام للأمم المتحدة (مستر يوثانت) رفض طلب مصر تقسيم قوات الطوارئ إلى قسمين، قسم فى سيناء يتم سحبه، وقسم فى شرم الشيخ يتم الإبقاء عليه، وقال إن هذه القوات كتلة واحدة إما أن تبقى كلها أو يتم سحبها كلها(*).

(*) هناك منطقتان تعتبران منفصلتين تضم قوات الطوارئ الدولية: الأولى: على خط الحدود الدولية بين مصر وإسرائيل. والثانية: فى داخل الأراضى المصرية فى منطقة شرم الشيخ حتى يمكن للسفن الإسرائيلية المتجهة إلى ميناء إيلات المرور فى المياه الإقليمية المصرية أمام شرم الشيخ.

٢ ـ سحب كل قوات الطوارئ

٦ ـ يقول محمود رياض الذى كان وزير خارجية مصر فى ذلك الوقت: عندما رفض يوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة إجراء انسحاب جزئى لقوات الطوارئ لم يعد فى استطاعة مصر التراجع عن طلبها ولم يكن أمامنا سوى أن نطلب الانسحاب الكلى لقوات الأمم المتحدة، وهذا يتضمن بالطبع القوات الموجودة فى غزة وشرم الشيخ .. (مذكرات محمود رياض صفحة ٣٧).

٧ ـ أدى انسحاب قوات الأمم المتحدة من منطقة شرم الشيخ التى تطل على خليج العقبة مفتاح مرور السفن الإسرائيلية إلى ميناء إيلات، إلى دخول القوات العسكرية المصرية إليها، وأصبح على القيادتين السياسية والعسكرية تحديد موقف مصر بعد هذا الإجراء.

٨ ـ فى التاسعة مساء يوم الأحد ٢١ مايو دعا جمال عبدالناصر اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى التى كانت تضم فى ذلك الوقت كبار المسئولين لاجتماع فى منزله بمنشية البكرى لبحث موضوع خليج العقبة، وقد رأى عبدالناصر أن تطبق القوات المصرية نفس الإجراءات التى كانت تطبقها قبل عدوان ٥٦، وكانت السفن الإسرائيلية فى ذلك الوقت ممنوعا عليها المرور فى خليج العقبة. وقال جمال عبدالناصر (إن احتمالات الحرب فى رأيه بعد سحب قوات الطوارئ كانت نسبتها ٢٥٪ ولكنها بعد إغلاق خليج العقبة سوف ترتفع إلى نسبة ٥٠٪).

٩ ـ تزاحمت الأحداث والاتصالات فى محاولات دبلوماسية .. فواشنطن طلبت إلى موسكو التدخل لتهدئة الجو ويوثانت سكرتير الأمم المتحدة قرر المجىء إلى منطقة الشرق الأوسط فى جولة يبدؤها بالقاهرة.

وفى اجتماع اللجنة العليا الذى عقده عبدالناصر مساء ٢١ مايو واستقر الرأى فيه على منع السفن الإسرائيلية من عبور خليج العقبة كان السؤال عن الموعد الذى

تعلن فيه مصر القرار فقال عبدالناصر إن المناسب أن يتم إعلانه قبل وصول يوثانت إلى القاهرة حتى يجد يوثانت نفسه أمام أمر واقع لايستطيع أن يطالب مصر بعده بالتراجع.

١٠ ـ يوم الاثنين ٢٢ مايو زار عبدالناصر القاعدة الجوية فى أبو صوير وتحدث إلى الطيارين وأعلن أمامهم إغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية مضيفا (بنقول لهم أهلا وسهلا إحنا مستعدين للحرب .. قواتنا المسلحة وشعبنا كله مستعدين للحرب وقد تكون الحرب فرصة علشان إسرائيل وعلشان رابين (رئيس الأركان الإسرائيلى فى ذلك الوقت) يختبروا قواتهم مع قواتنا ويشوفوا إن الكلام اللى كتبوه عن معركة سنة ٥٦ كان كله كلام هجص وتخريف).

٣ـ تعبئة نفسية كاملة للحرب

١١ ـ تلقت إسرائيل قرار مصر إغلاق خليج العقبة وجعلته القضية الأساسية وأعلنت أن هناك التزاما أمريكيا منذ سنة ١٩٥٧ بضمان حرية الملاحة لسفنها في خليج العقبة وأن إغلاق هذا الخليج هو إعلان من مصر بالحرب مما يعطيها حق الدفاع عن نفسها.

١٢ ـ قدمت أمريكا عن طريق سفيرها فى القاهرة مطالب رفضتها مصر. وكان من هذه المطالب أن تبقى قوات الطوارئ فى غزة وشرم الشيخ لحين صدور قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة، وأن تعلن مصر حرية الملاحة فى خليج العقبة.

١٣ ـ يوم الأحد ٢٨ مايو عقد جمال عبدالناصر مؤتمرا صحفيا عالميا بدأه بقوله (لقد رأيت من واجبى أن أضع أمامكم صورة الحقيقة، كما نراها فذلك جزء من المسئولية علينا، خصوصا بالنسبة لموقف قد يعنى السلم أو الحرب بالنسبة للأمة العربية كلها، بما ينتج عن ذلك من آثار وردود فعل حتى خارج العالم العربى) وكان أول سؤال تلقاه عبدالناصر: لقد قلتم إنه إذا أرادت إسرائيل الحرب فأنتم على استعداد وتقولون أهلا وسهلا فهل ثقتكم هذه ترجع إلى قراءتكم للموقف السياسى أم إلى إيمانكم بالتفوق العسكرى لقواتكم؟ وقال عبدالناصر: الذى أعطانا التوقيت هو رئيس وزراء إسرائيل، لكن كنا مستعدين لهذا التوقيت واحنا بنختار المكان والزمان الذى نتكلم فيه ونقول فيه أهلا وسهلا. أما بالنسبة للتفوق العسكرى فنحن نعتقد أن قواتنا قادرة على أن تقوم بواجبها بشرف وقوة وأمانة.

وفى رده على مراسل صحيفة الديلى إكسبرس وكان سؤاله عن معركة السويس عام ٥٦، وهل مازال عبدالناصر قادرا بعد ١١ سنة أن يواجه معركة جديدة بنفس القوة؟ .. قال عبدالناصر: بالنسبة للسن أظن أنا معجزتش، وأنا مش خرع زى المستر إيدن (رئيس وزراء بريطانيا أيام معركة السويس الذى قضت هزيمته السياسية فى تلك المعركة على دوره السياسى) وطمنهم فى إنجلترا أنى أنا

ماكملتش الخمسين، وقاعد لسه مدة طويلة موجود هنا فى هذا البلد وفى هذه المنطقة من العالم.

١٤ ـ فى خلال ذلك عاش شعب مصر ساعات مشحونة بالحماس البالغ والتطلع إلى لحظة انطلاق الشرارة لتثأر قواتنا مما جرى فى ٥٦.

وفى يوم ٣٠ مايو وصل إلى القاهرة الملك حسين (ملك الأردن) ووقع مع عبدالناصر اتفاقية دفاع مشترك، وفى يوم ٤ يونيو وصل وفد عراقى برياسة رئيس وزرائها لإعلان انضمام العراق إلى الاتفاقية، التى تم توقيعها مع الملك حسين .. وكان كل مصرى يغنى حنحارب .. حنحارب.

٤ ـ عبدالناصر يطلب التنحى

١٥ ـ فى حوالى التاسعة من صباح يوم الاثنين ٥ يونيو قطع صاحب أشهر صوت إذاعى فى ذلك الوقت (أحمد سعيد) الإذاعة معلنا: وقعت إسرائيل فى الفخ .. وفور ذلك أذاع البيان الأول عن قيام إسرائيل بغارة على مصر وتصدى وسائل الدفاع للطائرات المغيرة وإسقاطها ٤١ طائرة إسرائيلية .. وانطلقت الزغاريد فى البيوت، وعلت الفرحة وجوه كل المصريين .. وبدأ يوم الخامس من يونيو أسعد يوم فى حياة كل مصرى.

١٦ ـ لم تكن وسائل المعرفة ميسورة ومتعددة كما هى اليوم، فلم تكن هناك قوات تليفزيونية فضائية، ومحطات الإذاعة الأجنبية كان يتم التشويش عليها محليا .. كما لم يكن هناك فاكسات أو إنترنت أو تليفونات دولية يسهل الاتصال بها، وبذلك كانت وسيلة المعرفة مقصورة على البيانات الرسمية التى تصدرها القوات المسلحة وتذيعها الإذاعة أولا بأول، وقد توالى صدور هذه البيانات بصورة تؤكد سيطرة قواتنا وتمكنها حتى الساعة الخامسة من مساء اليوم من إسقاط ٨٩ طائرة للعدو.

١٧ ـ كما تبين فيما بعد فقد استخدمت إسرائيل كل طائراتها المقاتلة وهى حوالى ١٦٠ طائرة للقيام بضربة جوية مفاجئة قصفت فيها فى خلال أربع ساعات مطارات سيناء الأربعة ومحطات الإنذار على الحدود الشرقية لمصر ومطارات القناة الثلاثة ومطار المنصورة ومطار غرب القاهرة وبنى سويف والأقصر، وقد انتهت هذه الضربة الجوية الإسرائيلية بتدمير ٨٥٪ من القوات الجوية بصورة عامة و١٠٠ فى المائة بالنسبة للقاذفات الثقيلة والخفيفة.

١٨ ـ كان المشير عبدالحكيم عامر فى طريقه صباح ذلك اليوم (٥ يونيو) إلى مطار تمادا وسط سيناء لتفقد القوات، وأدرك قائد طائرة المشير الطيار محب يوسف وهو يعبر مطار أبو صوير حقيقة ما حدث فاستدار بسرعة وتمكن بمهارة فائقة من الهبوط فى مطار القاهرة الدولى المدنى وإنقاذ طائرة المشير من التعرض للضرب.

١٩ ـ يوم الأربعاء ٧ يونيو كان العنوان الرئيسى لجريدة الأهرام: الطيران

الأمريكي والبريطاني يعمل ضدنا في المعركة (لم يثبت ذلك فيما بعد)، وفي يوم الخميس ٨ يونيو كان العنوان الرئيسي: معارك متصلة بين قواتنا وقوات العدو طوال نهار وليل أمس. وفي يوم ٩ يونيو كان عنوان الأهرام: معارك رهيبة بالمدرعات في سيناء.

٢٠ ـ في الثامنة مساء يوم الجمعة ٩ يونيو وجه جمال عبدالناصر حديثا إلى الأمة أعلن فيه: لقد اتخذت قرارا أريدكم جميعا أن تساعدوني عليه .. لقد قررت أن أتنحى تماما عن أي منصب رسمي وأي دور سياسي وأن أعود إلى صفوف الجماهير أؤدي واجبي معها كأي مواطن آخر.

٥- حقائق العمليات

٢١ - حتى مساء الجمعة ٩ يونيو ٦٧ لم تعرف الجماهير حقيقة ما كان يحدث فى الجبهة .. كانت الصورة التى تطالعنا من خلال البيانات الصادرة تصور أن يوم ٥ يونيو كان يوم تساقط الطائرات الإسرائيلية، وأن اليوم الثانى كان يوم القتال العنيف مع مدرعات العدو فى داخل سيناء .. صحيح أن وهج القوة الذى كان يبدو فى البيانات قد راح يخفت ويشحب ولكن ليس إلى حد تصور حقيقة ما حدث.

٢٢ - فى خلال ثلاث ساعات من الثامنة من صباح ٥ يونيو ٦٧ حتى نحو الحادية عشرة قبل الظهر خسرت مصر ٨٥٪ من مقاتلاتها ومقاتلاتها القاذفة، كما خسرت ١٠٠٪ من كل القاذفات الثقيلة الخفيفة (مذكرات المشير محمد الجمسى) وفى أثناء هذا الضربة تمكن نحو ٣٠ طيارا مقاتلا مصريا من الإقلاع وسط الهجمة الإسرائيلية والاشتباك مع المقاتلات الإسرائيلية، وقد استشهد منهم ١٢ طيارا (مذكرات الفريق أول محمد فوزى).

٢٣ - فى نحو الساعة العاشرة من صباح ٥ يونيو بعد أن امتلكت إسرائيل سماء المعركة بدأت هجومها البرى على غزة في الشمال وفى وسط وجنوب سيناء وبدأت الاشتباكات بين القوات المصرية وقوات العدو المتقدمة، ورغم ضراوة المعركة التى واجهت فيها القوات المصرية العدو بدون حماية جوية فقد استمرت الاشتباكات فى مناطق متفرقة ولكن منذ صباح اليوم التالى (٦ يونيو) بدأت أوامر القيادة العليا بانسحاب جميع القوات من سيناء إلى غرب قناة السويس فحدثت حالة تخبط فى القوات المصرية وأصبح الطريق مفتوحا للقوات الإسرائيلية للوصول إلى شرق قناة السويس وضرب طوابير القوات المصرية المنسحبة فى حالة هرج!

٢٤ - فى نحو الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ٥ يونيو قامت الطائرات الإسرائيلية بالإغارة على الأردن ودمرت قواتها الجوية، وكانت تضم نحو

٣٠ طائرة، ثم أعقبت إسرائيل هجومها الجوى بهجوم برى مكنها من احتلال الضفة الغربية والقدس الشرقية.

٢٥ ـ أيضا فى نفس يوم ٥ يونيو وجهت إسرائيل إلى سوريا ضربة جوية خسرت فيها سوريا نحو نصف قواتها الجوية. ورغم أن سوريا قبلت وقف إطلاق النار يوم ٨ يونيو إلا أن القوات الإسرائيلية هاجمتها صباح يوم ٩، وهنا أصدرت القيادة السورية أوامرها لقواتها بالانسحاب العام من هضبة الجولان فاستولت عليها القوات الإسرائيلية بدون مقاومة (مذكرات المشير الجمسى).

٢٦ ـ قبلت الأردن وقف إطلاق النار يوم ٧ يونيو بعد أن فقدت الضفة الغربية، وقبلت مصر وقف إطلاق النار يوم ٨ يونيو بعد أن فقدت قطاع غزة وسيناء، وقبلت سوريا وقف إطلاق النار يوم ٨ يونيو وفقدت الجولان!

٦ ـ شهادة هيكل

كان الأستاذ محمد حسنين هيكل شاهدا على الأحداث التى جرت فى خلال أدق ساعات المحنة .. وردا على تساؤلات كثيرة خاصة بتنحى عبدالناصر فقد وجدت من الضرورة الاعتماد فى ذلك على شهادة الأستاذ هيكل باعتبار أنه – كما ذكر – كان الشخص الوحيد الذى رافق عبدالناصر وعاش معه وقائع يوم الجمعة ٩ يونيو ٦٧ من الساعة السابعة إلا عشر دقائق صباحا وحتى الساعة السادسة مساء. وقد أضاف الأستاذ هيكل إلى المكتبة العربية مجلدا ضخما عن حرب يونيو (١٠٩٠ صفحة) هو الذى أنقل منه شهادته التى حرصت على سردها فى سياق متصل إما بتلخيص أمين مشيراً فى بداية كل فقرة إلى أننى أوجزتها، أو بنص عبارته وقد وضعت فى مكان ما لم أنشره ولا يمس فى رأيى الجوهر ثلاث نقاط (...).

١ ـ فى الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق من صباح يوم الاثنين ٥ يونيو توجه جمال عبدالناصر إلى مقر القيادة العليا للقوات المسلحة فى مدينة نصر ... وقد أحس بالشؤم من النظرة الأولى ... وبدت له الأجواء فى القيادة شديدة الارتباك بأكثر مما هو منتظر ... ووجد نفسه يلح على عبدالحكيم فى طلب المعلومات عن حجم الخسائر المصرية، وفى نحو الساعة الواحدة والنصف دخل السيد شمس بدران وزير الحربية إلى مكتب المشير وناوله ورقة نظر إليها عبدالحكيم ثم مد يده بها إلى جمال عبدالناصر متفاديا أن تلتقى نظراتهما، وقرأ جمال الكشف وأحس على الفور بهول الكارثة.

٢ ـ فقرة أوجزها عن حوار دار قال فيه عبدالحكيم إنه لا يجد تفسيرا لما حدث سوى اشتراك الطيران الأمريكى مع الإسرائيلى، وأن تقديره لعدد الطائرات المغيرة يصل بها إلى أكثر من ألف طائرة.

وعندما أشار عبدالناصر إلى أن الذى يشغله الآن هو وضع القوات البرية، رد عليه عبدالحكيم بأن ذلك الأمر لا يقلقه (لأن الخسائر التى لحقت بالطائرات

الإسـرائيليـة المغيـرة سـوف تحـد من نشـاطهـا فـوق القـوات البـرية)، وكـان تعليق عبدالناصـر (إنه إذا كـانت القـوات المغـيـرة هى فى حـدود ألف طائرة، كـمـا ذكـر عبدالحكيم فإنها قادرة على إلحاق كارثة أخرى بالقوات البرية فى سيناء لا تقل عن كارثة القوات الجوية فى مطاراتها).

ومن عندى أضيف أنه ربما كانت هذه العبارة الأخيرة لعبد الناصـر هى التى أوحت لعبدالحكيم إصدار قرار الانسحاب الذى أصدره فى اليوم الثانى للقتال يوم ٦ يونيو.

٧ - أمريكا تطلب الاعتذار

يواصل هيكل شهادته :

٣ - ترك عبدالناصر مكتب عبدالحكيم عامر عائدا إلى مكتبه والفكرة التى تشغل ذهنه هى إعفاء عبدالحكيم عامر من مهامه وتعيين قائد عام جديد بدلا منه ... ولكنه غير رأيه قبل أن ينزل من السيارة فقد بدا له أن تغيير القيادة الآن لا يحل المشكلة فكل كبار القادة مسئولون عن الموقف الراهن بنفس مقدار مسئولية عبدالحكيم ... وكذلك بدا لعبد الناصر أن تغيير عبدالحكيم فى هذا الوقت معناه إعلان الهزيمة بعد نصف يوم من القتال مما يؤثر تأثيرا مدمرا على القوات المكشوفة فى سيناء.

٤ - فقرة موجزة: حاولت القاهرة مع محمد عوض القونى ممثل مصر فى الأمم المتحدة استصدار قرار من مجلس الأمن بوقف القتال وانسحاب القوات إلى ما قبل ٥ يونيو ولكن طبقا لبرقية من السفير القونى فقد أبلغه ممثل الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة آرثر جولدبرج أن المعارك لن تتوقف على الجبهة المصرية إلا عندما تعلن مصر سحبها واعتذارها عن معلومات خرجت منها بأن الولايات المتحدة شاركت عمليا فى ضرب الطيران المصرى.

٥ - كان الموقف يسوء ساعة بعد ساعة على الجبهة ... وفى نهاية ساعات مأساوية وحزينة لم يكن أمام جمال عبدالناصر (يوم الخميس ٨ يونيو) غير أن يتصل بالسيد محمود رياض وزير الخارجية يطلب إليه أن يتصل بالسفير القونى بنيويورك ليبلغه موافقة مصر على وقف إطلاق النار بدون أن تربط هذه الموافقة بضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية إلى المواقع التى كانت فيها قبل أن ينشب القتال. وكانت تلك هى اللحظة التى اتصل فيها السيد شمس بدران بالرئيس عبدالناصر يرجوه المجيء إلى مقر القيادة العليا لأن المشير مصمم على الانتحار. وذهب عبدالناصر.

٦ ـ كان جمال عبدالناصر قد توصل إلى اقتناع مؤداه أن النظام كله قد انتهى... وكان أول ما قاله لعبد الحكيم (إن أى نظام يعجز عن حماية حدود وطنه يفقد شرعيته. وأنه مهما تكن أحزاننا الآن فإن علينا أن نعرف أن دورنا قد انتهى نهاية مأساوية، ولم يبق أمامنا إلا مهمة أخيرة هى ترتيب أوضاع البلد ... واعترت عبدالحكيم نوبة هياج فراح يقول: إن كل شىء لم يضع بعد. وسأله عبدالناصر بأسى: ما الذى بقى لم يضع؟.

٧ ـ فقرة موجزة: بعد حديث عن المقاومة الشعبية التفت عبدالناصر إلى عبدالحكيم وطلب إليه أن يصحبه إلى الغرفة الملحقة بمكتبه لكى يتحدثا للمرة الأخيرة.

٨- شمس بدران رئيسا للجمهورية

٨ - فى هذا اللقاء المنفرد المتوتر بين الاثنين (عبدالناصر وعبدالحكيم) قال عبدالناصر لعبدالحكيم إنه أصبح مقتنعا بضرورة اعتزاله للحياة العامة فقد انتهى دوره وانتهت فى رأيه ثورة ٢٣ يوليو. وما بقى منها من مبادئ أو منجزات أصبح فى أيدى الناس وليس لنا أن نعطل طريقهم فى تدبير أمورهم على النحو الذى يرونه .. ثم كان اقتراح عبدالناصر بعد ذلك أنه سوف يقدم استقالته للأمة، وسوف يقترح فى نفس الوقت أن يكون السيد شمس بدران (وزير الحربية) رئيسا مؤقتا للجمهورية ريثما يمكن ترتيب الأمور. وكان ظنه فى هذا الوقت أن وجود شمس بدران على رأس الدولة وهو وزير الحربية قد يكون عاملا قادرا على تفادى احتمال التصادم بين الجيش والجماهير. وبدأ عبدالحكيم عامر موافقا على هذا الاقتراح ثم انضم إلى الاثنين كل من السيد زكريا محيى الدين والسيد أنور السادات والسيد شمس بدران.

٩ - فى الساعة الثامنة والنصف من مساء الخميس ٨ يونيو اتصل بى الرئيس عبدالناصر تليفونيا فى مكتبى بالأهرام (الكلام على لسان الأستاذ هيكل) وبدأ صوته لأول وهلة على التليفون مثقلا بهموم الدنيا كلها، وقد سألنى ما الذى أقترح عمله، وكان رأيى أنه لم يبق أمامه غير الاستقالة، وكان رده بالحرف: غريبة هذا مافكرت فيه تماما. وكان ردى أنه ليس هناك خيار آخر ... ثم سألنى فى نهاية الحديث عما إذا كنت أستطيع وكجهد أخير أن أكتب له خطاب استقالته للأمة بحيث يلقيه فى اليوم التالى (الجمعة ٩ يونيو) ... ودار حوارنا لبعض الوقت عن النقاط الرئيسية فى خطابه المطلوب، ثم اتفقنا على أن يكون لقاؤنا فى بيته فى الثامنة من صباح اليوم التالى.

١٠ - فى الساعة السادسة والنصف صباحا (الجمعة ٩ يونيو) توجهت إلى بيت الرئيس جمال عبدالناصر ومعى مشروع الخطاب الذى طلب منى إعداده متضمنا

إعلان استقالته للأمة ... ولأن الطريق كان خاليا فقد وجدت سيارتى أمام بيت الرئيس فى السابعة إلا عشر دقائق. وعرفت أنه فى مكتبه منذ ساعات وتوجهت إليه مباشرة وكان ممسكا بسماعة تليفون يناقش طرفا آخر فهمت من مسار الحديث أنه عبدالحكيم عامر ... وترك جمال عبدالناصر كرسى مكتبه وجلس فى مواجهتى على مقعد آخر فى الناحية الأخرى من مكتبه.

٩ـ زكريا بدلا من شمس

١١ ـ سألنى (جمال عبد الناصر) عما فعلت، وأخرجت مشروع الخطاب من الظرف الذى وضعته فيه، وقلت له إننى أعددت مشروعا ولكن لدى ملاحظة قبل أن أقرأه عليك ... إننى حاولت أن أقنع نفسى بكتابة اسم شمس بدران فى سياق الخطاب ولم أستطع رغم كل المحاولات ... وسألنى بصوت متعب عن السبب. وقلت إننى أنا الذى أريد أن أسأله عن السبب لماذا شمس بدران؟. واستطردت أقول: أولا إن شمس بدران أحد المسئولين عما جرى. وثانيا فإن هذه المجموعة من أولها إلى آخرها لم يعد لها أى رصيد من ثقة الناس ... ثم إن معنى تعيين وزير الحربية وهو مسئول ولو جزئيا عن الهزيمة بحجة تجنب صدام بين الجيش والشعب يعنى فى المحصلة النهائية رخصة للقادة المهزومين بحق لهم فوق مشاعر الناس. فالشعب سوف يغضب بلا جدال، وهؤلاء القادة المهزومون ليس عندهم ما يدافعون به عن أنفسهم غير السلطة ... ثم واصلت كلامى قائلا إنه وقد قرر الاستقالة وهو قرار سليم لا بديل له فإن المنطق الطبيعى بعده أن تعود الأمور بالكامل للناس فيكون هناك رئيس مؤقت مقبول منهم يشرف على لم أجزاء الموقف وشظاياه ثم يجرى بعد ذلك استفتاء عام للناس على أساس جديد ودستور جديد ... ثم سألنى: إذا لم يكن شمس بدران فمن؟ وفكرت ثوان ثم سألته: من هو الأقدم بين الأعضاء الباقين من مجلس قيادة الثورة؟ وفكر لحظة ثم رد: زكريا محيى الدين، وأبديت ما يفيد معنى الارتياح. وقال هو أن زكريا رجل عاقل وهو ذكى .. إنه يمكن أن يكون مقبولا دوليا ... ثم سأل: هل أتحدث مع زكريا؟ ورد بنفسه على سؤاله قائلا: لا.. لو تحدثت إليه فمن المؤكد أنه سيعتذر.

١٢ ـ فقرة موجزة. يحكى هيكل أنه بعد أن قرأ مشروع الخطاب على عبدالناصر طلب إليه أن يذهب إلى مكتب السيد سامى شرف على الناحية الأخرى من الشارع لكتابة الخطاب على الآلة الكاتبة، ويقول هيكل إن سامى شرف كان فى حالة من

العصبية البالغة عندما وصل إلي فقرة تنحي عبدالناصر عن أى منصب رسمي أو دور سياسي وأصابته كما يصف هيكل حالة من الهستيريا فراح يصرخ بصوت عال بأن هذا مستحيل .. وعاد هيكل إلى مكتب عبدالناصر وظل معه حتى الساعة الخامسة وكان من بين ما قاله عبدالناصر لهيكل (إنني لا أستطيع أن أتصور ماسيفعله الناس. والله لو أنهم أخذوني إلى ميدان التحرير وشنقوني فيه لما اعترضت عليهم. لهم الحق) ولكن ما حدث بعد إلقائه الخطاب كان شيئا آخر.

١٠ - سأبقى حيث يريد الشعب

ونأتي إلى النهاية في حكاية تنحي عبدالناصر كما لخصتها من واقع شهادة الأستاذ محمد حسنين هيكل فيحكي هيكل أن عبدالناصر أعطى أوامره لسامي شرف ألا تذاع كلمة أو تعقيب بعد أن يلقى خطابه إلا بعد عرضها على هيكل لأن عبدالناصر سوف يدخل غرفة نومه ويرتاح.

وأوجز من شهادة هيكل على لسانه ما يلي:

** صورة للجماهير الكبيرة التي خرجت إلى شوارع القاهرة وليس على لسانها سوى هتاف ناصر.

** اتصل بي السيد زكريا محيي الدين وكانت أول عبارة صدرت عنه: ما هذا الذي فعلتموه؟ وهو يطلب على الفور إذاعة بيان بأنه اعتذر عما كلف به.

** اتصل بي السيد شعراوي جمعة (وزير الداخلية) يقول لي إنه ذهب إلى بيت الرئيس، وأن هناك حصارا بشريا مخيفا حول البيت.

** اتصل بي المشير عبدالحكيم عامر (وهو مهتاج بطريقة لا يبين منها كلام مفهوم وحاولت تهدئته قدر ما أستطيع بأن طلبت منه أن يبعث إليّ بالبيان الذي يريد إذاعته) ... وفي اتصال آخر أبلغه عبدالحكيم أن البيان الذي يريد إذاعته هو إعلان بأنه قدم استقالته من جميع مناصبه.

** اتصل بي السيد أنور السادات رئيس مجلس الأمة طالبا أن نفعل شيئا لتدارك الأوضاع الخطيرة في كل مكان.

** في منتصف الليل دق جرس التليفون، وكان جمال عبدالناصر هو المتكلم وكان سؤاله بصوت مثقل هو: ما الذي حدث؟

ورويت له صورة مصر والعالم العربي كما كانت بادية في لحظتها وكان سؤاله المتكرر: ليه؟

** حاول عبدالناصر النوم مستعينا بقرص منوم ولكنه لم يستطع وكان فى مكتبه فى الخامسة والربع صباحا لمطالعة الرسائل والبرقيات التى تتابعت من مختلف العواصم.

** اتصل بى الرئيس عبدالناصر فى الثامنة و٥ دقائق وكان أول ما قاله إنه لأول مرة فى حياته يشعر بالعجز عن اتخاذ قرار، وهو يستعد الآن للذهاب إلى مجلس الأمة وليس فى ذهنه أى شىء محدد عما يمكن أن يقوله هناك.

** كان واضحا صعوبة ذهاب عبدالناصر إلى مجلس الأمة بسبب حشود الجماهير التى أغلقت الطريق بعد أن أذيع أنه سيذهب إلى المجلس ليتحدث من هناك .. وكان الاتفاق أن يوجه عبدالناصر رسالة إلى الشعب.

** كتب هيكل الرسالة الموجهة من عبدالناصر إلى أنور السادات رئيس مجلس الأمة قال فيها: إن صوت جماهير شعبنا بالنسبة لى أمر لا يرد، ولذلك فقد استقر رأيى على أن أبقى فى مكانى فى الموضع الذى يريد الشعب منى أن أبقى فيه حتى تنتهى الفترة التى نتمكن فيها من أن نزيل آثار العدوان.

انتهت شهادة هيكل وتبقى بعض الملاحظات.

١١ - عبد الناصر والتنحى

رغم شهادة الأستاذ محمد حسنين هيكل بجدية وصدق جمال عبد الناصر فى قرار التنحى الذى كتب له خطابه وأعلنه يوم ٩ يونيو ٦٧ إلا أن تحليل الأحداث لايمكن استبعاد الملاحظات التالية:

١ - إن عبد الناصر فى أزمات سابقة تعرض فيها لاختبار السلطة استخدم لتدعيم سلطته سياسة التراجع والانسحاب من أجل العودة بعد أن يحصل على التفويض الذى يجعله أكثر قوة. فعقب طرد الملك فاروق يوم ٢٦ يوليو ٥٢ أصر جمال عبد الناصر على الاستقالة ولم يعد إلا بعد أن أعادت الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار انتخابه رئيسا بالإجماع. وحدث ذلك مرة ثانية فى أزمته مع ضباط الصف الثانى للثورة الذين تحركت مطامعهم على أساس أن دورهم لايقل عن دور الذين يجلسون فى مواقع قيادة الثورة، ثم حدث ذلك بصورة أوضح خلال أزمته مع محمد نجيب وإعلانه في خلال ما اشتهر بأزمة مارس ٥٤ حل مجلس قيادة الثورة والسماح بقيام الأحزاب تاركا لمحمد نجيب الانفراد بالسلطة مما أعقبه ضغط عسكرى وشعبى كان من نتيجته تمكنه بعد ذلك من التخلص من محمد نجيب والانفراد بالسلطة.

٢ - إن آخر ما فعله عبد الناصر قبل أن يذيع بيان التنحى أنه أعطى تعليماته إلى شعراوى جمعة (وزير الداخلية فى ذلك الوقت) وسامى شرف (مدير مكتبه) ومحمد فائق (وزير الإعلام) ألاّ تذاع أو تقال كلمة إلا بعد الرجوع إلى هيكل. وقال هيكل الذى ذكر ذلك فى شهادته أن عبد الناصر قال له أنت تعرف كل تفاصيل الأوضاع وتتفهم دواعيها وتستطيع أن تقف فى وجه الكل. المهم ألاّ تُقال كلمة طائشة أو يفلت شيء يصعب تداركه.

ومثل هذا الكلام يتناقض بالطبع مع ما ذكره عبد الناصر أنه سوف يذهب بعد إلقائه البيان لينام ويعتزل.. فالواضح أنه كان حريصا على أى كلمة أن تقال، ولم

يجد من يستطيع أن يحمل أمانة مراقبة كل كلمة سوى مفكر متمرس يعرف قيمة الكلمة ويعرف أهم من ذلك أفكار عبد الناصر واتجاهاته..

٣ ـ إن الواضح من شهادة هيكل أن عبد الناصر هو الذى اقترح اسم شمس بدران وزير الحربية ليخلفه كرئيس مؤقت وقد قبل عبد الحكيم عامر هذا الاقتراح. ورغم تبرير عبد الناصر هذا الاختيار بأنه لتفادى احتمال التصادم بين الجيش والجماهير إلا أن المؤكد أنه إذا تولى شمس الرئاسة فإن هذا التصادم كان سيحدث بصورة أخطر وأوسع ليس فقط بين الجماهير وشمس، وإنما أساسا مع كل قيادات الثورة الذين يتقدمون سنا وأقدمية على شمس بدران وكانت فى أيديهم مفاتيح السلطة الشعبية.

وشمس بدران من خريجى الكلية الحربية عام ١٩٤٨ واختاره عبد الناصر مديرا لمكتب المشير عبد الحكيم عامر ليكون عين عبد الناصر فى مكتب المشير لكن شمس استطاع أن يكسب ثقة عبد الحكيم عامر إلى الدرجة التى جعلت عبد الحكيم يعتقد فى شمس كرجله.. وفى المحصلة فقد أصبح كل من عبد الناصر وعبد الحكيم يعتقد أن شمس هو رجله وهو أمر لاشك يؤكد مقدرة شمس فى التعامل مع الرجلين اللذين يجلسان على القمة. ولهذا يمكن النظر إلى اختيار عبد الناصر لشمس بدران بأنه اختيار لرجله، كما جاءت موافقة عبد الحكيم على شمس سريعة ثقة منه بأن شمس رجله.. ولكن على الجانب الآخر فقد كان اختيار عبد الناصر لشمس بدران كما قال شمس لطارق حبيب من خلال التحقيقات الواسعة التى قدمها بنجاح لفتح ملفات الثورة! إن عبد الناصر كان جادا فى التنحى عندما وضع اسم شمس بدران لأن معنى ذلك أنه إذا عاد فلن يجد من يتعاون معه من رجال الثورة الذين كانوا سيغضبون لاختيارى ويبتعدون، أما وقد وضع اسم زكريا فكان هذا يعنى أنه قد قرر بينه وبين نفسه أنه سيعود!

١٢ ـ مظاهرات ٩ يونيو

هل كان خروج الجماهير فى ظلام ليلة ٩ يونيو ٦٧ صادقا وعفويا أم بترتيب من الاتحاد الاشتراكى وهو التنظيم السياسى الوحيد الذى كان موجودا فى مصر حيث لم تكن هناك أحزاب أو أى تنظيمات أخرى مشروعة؟

أستطيع كشاهد أمين على أحداث هذه الليلة التى أعقبت انتهاء عبد الناصر من إلقاء خطابه بالتنحى تسجيل مايلى:

١ ـ إنه كان منطقيا بل وضروريا أن تقوم قيادات الاتحاد الاشتراكى بإعداد ترتيبات مسبقة للمظاهرات التى ستخرج بعد خطاب الرئيس لتقود ـ كما كانت العادة ـ التحرك الجماهيرى الذى (يؤيد) الرئيس فى كل ما يعلنه ويقوله.

٢ ـ إنه يمكن القول صدقا أنه حتى الدقائق الأخيرة التى سبقت خطاب الرئيس فإن صورة الهزيمة وحجمها وحقيقة الأوضاع فى الجبهة كانت غائبة تماما عن أكثر من ٩٥ فى المائة من جماهير الشعب.. فالصحف حتى صباح ذلك اليوم كانت تتحدث عن المعارك العنيفة الدائرة، والإذاعة والتليفزيون حتى الدقيقة الأخيرة قبل نقل خطاب الرئيس كانت عبارة عن أناشيد حماسية وأغان وطنية متدفقة لاتعكس أى هزيمة!

٣ ـ لايمكن تجاهل العلاقة العاطفية التى ربطت الجماهير طوال ١٥ سنة بجمال عبد الناصر وتعودها على رؤيته وهو فى كامل قوته وامتداد قامته وشموخه المليء بالكبرياء ثم فجأة تراه يواجهها بوجه حزين وصوت منكسر وعبارات موجعة لم تألفها من قبل.

٤ ـ إن محمد حسنين هيكل كان بارعا فى تحريك مشاعر الجماهير من خلال عبارات عبأ بها خطاب التنحى لم يكن من السهل على شعب ارتبط برئيسه تجاهل إشاراتها ومعانيها.

فعندما يقول الرئيس فى خطابه «إن قوى الاستعمار تتصور أن جمال

عبدالناصر هو عدوها وأريد أن يكون واضحا أمامهم أنها الأمة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر» فليس هناك أوضح من هذه الإشارة للشعب لإثبات وقفته إلى جانب عبد الناصر.

وعندما يختم عبد الناصر خطابه بعبارة «إن قلبى كله معكم وأريد أن تكون قلوبكم كلها معى» فليس هناك أمر أقوى من هذا الأمر لانطلاق الجماهير لإبداء مشاعرها فى هذه الليلة الفريدة.

٥ - إن نظام عبد الناصر كان نظاما فرديا يعتمد على شخص عبد الناصر الذى تعودت منه الجماهير قيادة سفينتها وسط كل العواصف والأنواء، وبالتالى فلقد كان الشعور الغالب أنه بعد انسحاب عبد الناصر فلا أمل فى النجاة، وبالتالى كان إعلان تمسك الجماهير بعبد الناصر يمثل فى جزء منه دفاعاً عن خوفها من الغرق..

وهكذا فإنه إذا كانت بعض المظاهرات التى تم ترتيبها مسبقا (لتؤيد) ما يقوله الرئيس فإن الملايين التى خرجت بعفوية (لترفض) ما يقوله الرئيس كانت أكبر ولها أسبابها..

١٣ـ مفارقات ومغالطات

بدأت أحداث يونيو بحشد القوات المصرية في سيناء بهدف حماية سوريا من عدوان إسرائيلي، وبعد ثلاثة أسابيع احتلت إسرائيل سيناء والضفة الغربية كما احتلت الجولان السورية ومازالت هذه الأخيرة محتلة حتى اليوم بعد ٣٥ سنة!

وفي خلال السنوات التي مضت ترسخ على سبيل اليقين أن الهجوم الإسرائيلي على مصر يوم ٥ يونيو بدأ في الساعة ٨,٤٥ صباحا بضربة الطيران بينما البداية كانت في الساعة الخامسة و١٢ دقيقة صباح ٥ يونيو بهجوم برى تقدم فيه العدو مسافة ١٢ كيلومترا داخل الأرض المصرية واحتل أم بسيس في الساعة ٧,١٥ صباحا. ثم بعد ساعة ونصف من احتلاله أم بسيس بدأت ضربة الطيران وكانت هذه الساعة والنصف ـ كما ذكرت حيثيات محاكمة أربعة من قادة الطيران بعد الهزيمة ـ كافية للصد والردع لو كان القادة الغائبون موجودون في مراكز عملياتهم، ولكن الإشارات التي وصلت إلى مركز العمليات لم تجد مسئولا لأنه كان مغلقا!

وفي رأى المرحوم اللواء عبد الحميد الدغيدى قائد القوات الجوية والدفاع الجوى لجبهة سيناء في ذلك الوقت والذى برأته المحكمة مرتين من كل التهم الموجهة إليه أن إسرائيل عندما دخلت الحدود المصرية واشتبكت مع القوات البرية دون أن تجد أى وجود للطيران المصرى في سماء الاشتباك، فقد اعتقدت أن الطيران المصرى لابد أنه يعد لضربة جوية شاملة فقرروا مفاجأته قبل أن يبدأ ضربته!

وكان من بين المفارقات أن إشارة الشفرة «عنب عنب عنب» التي أرسلها الفريق عبد المنعم رياض من عجلون بالجبهة الأردنية وهي إشارة متفق على إرسالها في حالة رؤيته تحركات جوية للعدو الإسرائيلي ضد مصر، هذه الإشارة وصلت إلى المركز العام للعمليات في مصر وهو مغلق(!) وفي الوقت الذى كان تم فيه تغيير الشفرة دون إبلاغ الفريق رياض، وبالتالي ضاعت على مصر نصف ساعة كاملة كانت كافية لتغيير موازين كثيرة..

وكان من بين المغالطات أنه رغم أن عبد الناصر حذر من أن إسرائيل ستبدأ الحرب يوم ٥ يونيو فإن الدفاع الجوى تم تقييده بسبب زيارة للمشير عامر إلى مطار بيرتمادا وسط سيناء حيث كان القادة فى انتظاره.. إلا أن رحلة المشير لم تكن (الرحلة الصديقة) الوحيدة التى قيدت الدفاع الجوى بل كانت هناك فى هذا الصباح - كما أوضحت التحقيقات - ٢٢ رحلة صديقة منها رحلة حسين الشافعى وطاهر يحيى رئيس وزراء العراق إلى مطار فايد، ورحلة رئيس أركان الكويت إلى مطار كبريت!

وكانت هناك مغالطة أن مصر استهدفت إثارة الأزمة عمدا لاسترداد منطقة شرم الشيخ من قوات الطوارئ الدولية ومنع مرور السفن الإسرائيلية كما كان الوضع قبل ٥٦، أى أن مصر أرادت فى ٦٧ أن تسترد ما كسبته إسرائيل فى ٥٦ بينما الثابت من سيناريو الأحداث أن مصر لم تطلب فى أول ساعة للأزمة بعد أن قررت حشد قواتها فى سيناء لم تطلب من قائد قوات الطوارئ سحب «كل» قواته سواء على الحدود المصرية الإسرائيلية أو التى فى شرم الشيخ بل إنها طلبت سحب قوات الطوارئ على الحدود، أما القوات الموجودة فى شرم الشيخ فإنها لم تشر إليها إلا عندما رفض السكرتير العام للأمم المتحدة تجزئة قواتها وطلب إما بقاءها كلها أو سحبها كلها فاضطرت مصر كما ذكر محمود رياض وزير الخارجية إلى سحب كل القوات..!

١٤ـ حرب بلا مهمة

واجه عبد الناصر فى منتصف الخمسينيات أزمة تأميم قناة السويس التى نجح فيها ورفعت رأسه عاليا، وواجه فى منتصف الستينيات أزمة يونيو التى فشل فيها وقصمت ظهره وأصابته بالأمراض التى قضت عليه فى شرخ شبابه عن عمر يناهز ٥١ سنة.

إن التاريخ لايتم سرده وتقليب صفحاته لمجرد التسلية والتندر، وإنما للتأمل والتعلم والاستفادة.

وفى عام ٥٦ بدأ عبد الناصر معركة السويس بقرار سياسى سليم يعبر عن قضية قومية وطنية يمكن الدفاع عنها، وبرغم ذلك فقد حرص قبل إعلانه على أن يستكشف احتمالات نتائجه العسكرية واحتمالات إمكانيات تدخل القوات البريطانية التى كانت موجودة فى ذلك الوقت فى قاعدتها العسكرية فى قبرص، وانتظر عبدالناصر حتى جاءه الرد الذى يؤكد عدم قدرة هذه القوات على التحرك السريع وبعد ذلك أعلن قرار التأميم.. ورغم مابدا فى ٥٦ من هزيمة عسكرية إلا أن سلامة القرار السياسى مكنته من إدارة الأزمة لصالح مصر، ولكن فى٦٧ كان العكس هو الصحيح... فلم تكن هناك قضية وطنية واضحة، ولذلك لم يكن هناك وضوح للقرار السياسى ولاتحديد لأهدافه. وبينما لم يزج عبد الناصر بالجيش أو يلوح باستخدامه فى ٥٦، فإنه فى ٦٧ بدأ الأزمة باستخدام الجيش وتحريكه.

وتحركات الجيوش فى كل الدنيا تتم بقرار سياسى يصدره القائد السياسى الأول مصحوبا بالهدف والمهمة التى على الجيش تحقيقها فى ضوء إمكانياته تاركا للعسكريين تولى التخطيط والتنفيذ.

وفى حرب ٧٣ على سبيل المثال كان هناك قرار سياسى لهذه الحرب صدر إلى القائد العام للقوات المسلحة المصرية فى أول أكتوبر ١٩٧٣ تناول بالتحليل أبعاد الموقف السياسى محليا وعالميا والهدف الاستراتيجى المطلوب للقوات المسلحة... ثم

فى ٥ أكتوبر أصدر أنور السادات خطابا ثانيا وجهه إلى القائد العام حدد له ثلاث مهام للعمليات القتالية.

١ - كسر وقف إطلاق النار على الجبهة.

٢ - تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة.

٣ - العمل على تحرير الأرض المحتلة على مراحل تالية.

أما فى ٦٧ فلم يكن هناك ما يمكن اعتباره بأى مقياس أمرا قتاليا متضمنا مهام محددة مطلوبا من قواتنا تنفيذها... فالقوات المسلحة تم استدعاؤها على عجل، والاحتياطى جىء به دون تدريب، وبطريقة عشوائية تم حشد أكثر من ١٠٠ ألف جندى فى سيناء فى منطقة لايعرف معظم الذين ذهبوا شيئا عن طبيعتها، لكن الأخطر أنه لم تكن هناك مهمة معروفة لدرجة جعلت الكثير من القيادات العسكرية تتساءل: ما هو المطلوب منا بالضبط؟... فإذا كانت المهمة هجومية فلماذا نهاجم وإذا كانت دفاعية فلماذا نضع أنفسنا فى موقع الدفاع، ولم يكن هناك أى خطر علينا... وأى حرب لاتحدد مهمتها تنتهى بالهزيمة قبل أن تبدأ!

١٥ـ آثارها السياسية أسوأ

هناك أسـبـاب لا أظنهـا تغيب عن القـارئ الذى يتـابع هذه السلسلة عن حكاية يونيو.. وهي أن أكثر من ٦٠ فى المائة من أحياء اليوم لم يحضـروا أو كانوا فى سن يمكن أن يدركوا فيها حقيقة ما كان يحدث فلقد كان ضروريا أن أشرح ببساطة لشبابنا المعاصر ما يستطيع أن يعوض به حضورا غاب عنه، أو فـهما لم يدركه فى وقتهـا.. وغـير ذلك فإن يونيو رغم ٣٥ سنة مـضت لم يتـحول إلى صـفـحـة طويت ودخلت أرشـيف التـاريخ وأصبح الحديث عنه مجرد ذكرى.. فـحتى اليوم مـازلنا نعيش يونيو ٦٧.. الجولان المحتلة هي يونيو.. والضفة ما فيها هو يونيو.. والتطورات التى جرت فى العالم العـربي تجاه الصـراع هـو يونيو.. ذلك أن احـتلال الأرض لم يكن أسوأ ما فى يونيو وإنما كان الأسوأ النتائج السياسية التى قاد إليها يونيو..

فـقبل يونيـو كـان الحلم العـربى تحـرير كل فلسطين.. ثم مـع الضـغـوط الدوليـة انحـصـر الحلم فى اسـتـرداد الـ٢٠٪ التى اسـتـولت عليـهـا إسـرائيل من الأرض الفلسطينيـة فى حـرب ٤٨ وعـودة الـلاجـئين، ولكن بعـد ٦٧ انكمش الحلم العـربى وأصبحت حدوده هى خطوط ٤ يونيو!

وفى ٢٩ أغسطس ١٩٦٧ ذهب عبد الناصر إلى أول مؤتمر قمة عربي يعقد بعد يونيو ٦٧ واستقبل استقبالا حافلا.. وانتـهى المؤتمر العربى إلى ما اشتـهر باللاءات الثلاثة: لا اعـتراف، ولا صـلح، ولا مـفاوضـات مع إسرائيل. وفى نوفمبر ٦٧ ـ بعد شهرين اثنين تقريبا من مؤتمر اللاءات ـ وافقت مصر على القرار ٢٤٢ الذى أصبح مرجعية كل متحدث عن الصراع.. وهذا القرار يتحدث عن:

١ ـ إنهاء جميع حالات الحرب أو الادعاء بها.

٢ ـ الاعتراف بكل دولة فى المنطقة (طبعا مقصود بذلك الاعتراف بإسرائيل).

٣ ـ العيش فى نطاق حدود آمنة.

٤ ـ إقامة إجراءات أمن من بينها مناطق منزوعة السلاح.

ورغم أن مصر قبلت القرار إلا أن إسرائيل أعطته ظهرها لأنها لم تجد مايرغمها على الانسحاب (من أراض) احتلتها فى يونيو ٦٧.. لم تفعل ذلك إلا عندما قاد أنور السادات حرب أكتوبر ٧٣ القتالية وحرب نوفمبر ٧٧ السلامية التى زار فيها القدس.. وعندما تضمنت اتفاقية كامب ديفيد إنهاء حالة الحرب وإقامة مناطق عازلة فى سيناء ومرور إسرائيل فى الممرات المائية الدولية فلقد كانت تطبق ٢٤٢.. فنتائج ٧٣ سياسيا قيدتها نتائج يونيو.. وكامب ديفيد مع مصر ووادى عربة مع الأردن وأى اتفاقيات أخرى وقعت وستوقع ولدت فى رحم يونيو الذى لم تطو حتى اليوم صفحته ويدخل التاريخ.

١٦ - دروس وملاحظات

لم ينته يونيو كما قلت، وعندما نعيد فتح ملفه فلا نفعل ذلك ليكون رواية مسلية للبعض، أو مثيرة لآلام وجراح البعض الآخر، أو هروبا من الحاضر والمستقبل الذى يجب أن نركز عليهما إلى حكايات الماضى، وإنما كان الحديث عنه ضروريا لشرح التاريخ لأغلبية معاصرة من الشباب يتعين عليها أن تعرف تاريخها أولا من أجل المعرفة، فشعب يجهل تاريخه لايستطيع أن يقود حاضره ومستقبله، وثانيا للاستفادة والتعلم.. وإذا كانت هناك بعض الملاحظات الأخيرة التى أنهى بها هذا الحديث عن يونيو فهى:

١ - إن من بين العقد التى حكمت تصرفات جمال عبد الناصر بعد نجاح التنظيم الذى كونه داخل الجيش فى الاستيلاء على السلطة ليلة ٢٣ يوليو ٥٢، هو خوفه من تكرار قيام ضباط آخرين بتكوين تنظيمات مماثلة تنتهى بالاستيلاء على السلطة كما حدث فى سوريا التى شهدت ثلاثة انقلابات عسكرية فى أقل من عامين.. ولهذا كان تركيز عبد الناصر على تأمين الجيش ضد أى خلايا أو تنظيمات.. وعندما اختار جمال عبد الناصر عبد الحكيم عامر يوم ١٨ يونيو ٥٣ - بعد ١١ شهرا من الثورة - ليصبح القائد العام للقوات المسلحة، وتمت ترقيته من رتبة رائد (صاغ) إلى لواء، ثم إلى فريق، ثم إلى مشير فى عام ٥٨.

فقد كان أساس هذا الاختيار ومساندة عبد الناصر لعبد الحكيم تأمين الجيش سياسيا، وهذه مهمة نجح فيها عبد الحكيم بالتأكيد.. ولكن بالنسبة للحرب فلم تكن هذه قدرات عبد الحكيم ولا قدرات عدد غير قليل من أعوانه الذين اختارهم لتحقيق المهمة المطلوبة. وهى ملاحظة نستطيع ملاحظتها عندما قام أنور السادات باختيار القيادات القتالية لا الأمنية لتقوم بحرب ٧٣، وبالتالى فإن محاسبة عبد الحكيم عامر تكون حول الهدف الذى كان مطلوبا منه.

٢ - بجانب عدم استيعاب القيادة العسكرية فى ٦٧ لمهمة الحرب، فقد زاد من مشاكلها بالتأكيد وبصورة انعكست على كل التصرفات التى جرت عدم وضوح

المهمة القتالية والتى كان مطلوبا القيام بها من ٨٥ ألف ضابط وجندى تم دفعهم فى أيام إلى سيناء.

لقد دفعت مصر بكل هذه القوات إلى مهمة يحتار من يراجع ظروفها وحساباتها فى محاولة معرفة أهدافها. فكل سيناء كانت فى ذلك الوقت تحت السيادة المصرية، والقوات التى تم حشدها بدعوى التخفيف عن سوريا لم يكن فى تفكيرها ولا فى تخطيطها أو تدريبها اعتبار سيناء قاعدة انطلاق تهاجم منها إسرائيل، وبهذا أصبح معنى حشد قواتنا فى سيناء فى ذلك الوقت أنها ذهبت تنتظر هجوم العدو عليها فى داخل مواقعها فى سيناء لترده على أعقابه بعد ذلك وتطرده إلى خارج سيناء.

٣ - إن من أهم دروس يونيو أنه بالنسبة للدول التى فى وضع مصر، فإن من مسئوليات القائد السياسى عند دفع بلاده إلى حرب، التأكد أولا من قدرته على الدفاع عالميا عن الهدف السياسى المشروع الذى يحارب من أجله وضمان تأييد العالم له، والتأكد ثانيا من قدرات قواته، وأن يملك ثالثا أن يحدد بوضوح أهداف المهمة القتالية التى يتعين على قواته تحقيقها بما يتناسب مع إمكانياتها، ثم أيضا حساب ماذا سيفعل عندما تنتهى الحرب ويجلس الطرفان على مائدة التفاوض..

٤ - ومع أن الحديث أصبح كله منذ حرب ٦٧ عن المأساة التى حدثت إلا أن أحدا من العسكريين أو السياسيين لم يذكر لنا ماذا لو كنا انتصرنا فى هذه الحرب عام ٦٧؟ بمعنى أوضح ما هو شكل النصر الذى كنا نحلم به والذى حشدنا قواتنا لتحقيقه؟ هذا هو السؤال الذى لم يجب عليه واحد، ولم تتضمنه أى وثيقة من وثائق ٦٧ حتى اليوم!

التاريخ ليس رواية مسلية.. والذين لايتعلمون من دروسه لايصح أن يندموا!

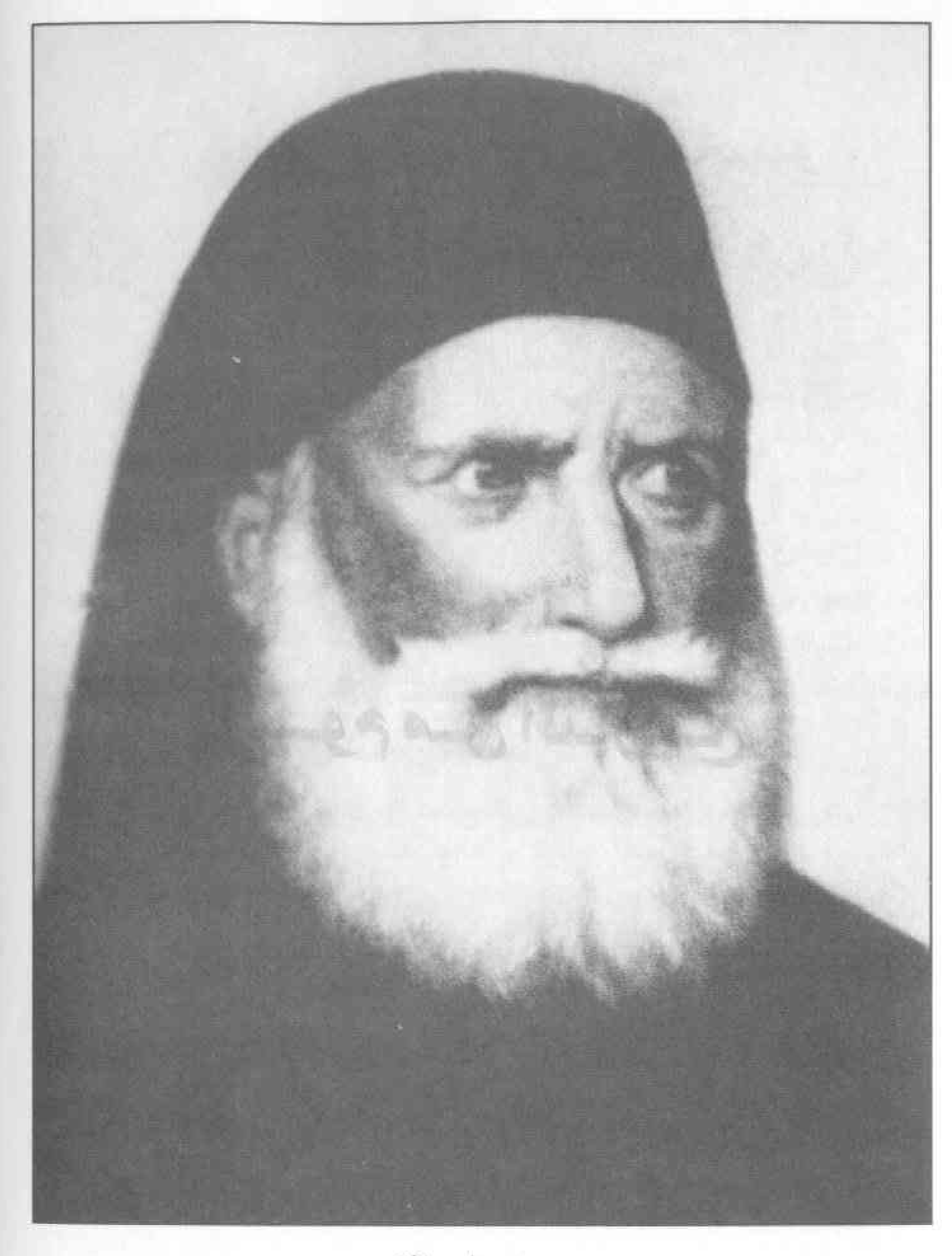
مراجع الجزء الخاص بالتاريخ

- تاريخ الحركة القومية: عبد الرحمن الرافعى ١٥ جزءًا.
- كنت رئيسا لمصر: محمد نجيب.
- كلمتى للتاريخ: محمد نجيب.
- مذكرات عبد اللطيف البغدادى.
- والآن أتكلم: خالد محيى الدين.
- البحث عن الذات: أنور السادات.
- مذكرات الضباط الأحرار: د. محمد الجوادى.
- شاهد على عصر الرئيس محمد نجيب: السفير رياض سامى.
- فصول من ثورة ٢٣ يوليو: دكتور وحيد رأفت.
- الحقيقة عن ثورة يوليو: عبد المحسن أبو النور.
- مذكرات فى السياسة والثقافة: ثروت عكاشة.
- شهادتى: عصام حسونة.
- ملفات ثورة يوليو: طارق حبيب.
- أربعون عاما على ثورة يوليو: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.
- بصراحة عن عبد الناصر: أحاديث مع محمد حسنين هيكل أجراها فؤاد مطر.
- أيام وأيام: محمد صبيح.
- ليلة ٢٣ يوليو: أحمد عطية الله.
- القاموس السياسى: أحمد عطية الله.
- فاروق كما عرفته: كريم ثابت.
- ١٠ سنوات مع فاروق: كريم ثابت.
- سنوات مع الملك فاروق: حسن حسنى.
- ثورة ١٩ .. مذكرات فخرى عبد النور.
- فى الثورة والدبلوماسية: جمال منصور.
- القصر ودوره فى السياسة المصرية: حسن يوسف (جزأين).
- محاكمة ثورة يوليو: د. محمد الجوادى.
- مذكرات الهواة والمحترفين: د. محمد الجوادى.
- خطب جمال عبد الناصر: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.
- ثورة يوليو: أحمد حمروش.
- عبد الناصر وزيرا للداخلية: محمد صلاح الزهار.

مراجع الجزء الخاص بحرب يونيو

- حرب أكتوبر: المشير محمد عبد الغنى الجمسى.
- ١٩٦٧ الانفجار: محمد حسنين هيكل.
- المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل (٣ أجزاء): محمد حسنين هيكل.
- حرب الثلاث سنوات: محمود فوزى.
- مذكرات الشاذلى حرب أكتوبر: سعد الدين الشاذلى.
- من سيناء إلى الجولان: جمال حماد.
- مذكرات محمود رياض.
- حرب أكتوبر ١٩٧٣: الفريق محمد فوزى.
- الفريق المرتجى يروى الحقائق: عبد المحسن كامل مرتجى.
- شاهد على حرب ٦٧: الفريق صلاح الدين الحديدى.

ألبوم من التاريخ



محمد على باشا

حقق فتوحات عظيمة انزعج لها الغرب وتنازل عنها ثمنا لحكم أسرته لمصر



إبراهيم باشا

تولى حكم مصر بضعة أسابيع ومات فى حياة محمد على



عباس باشا الأول

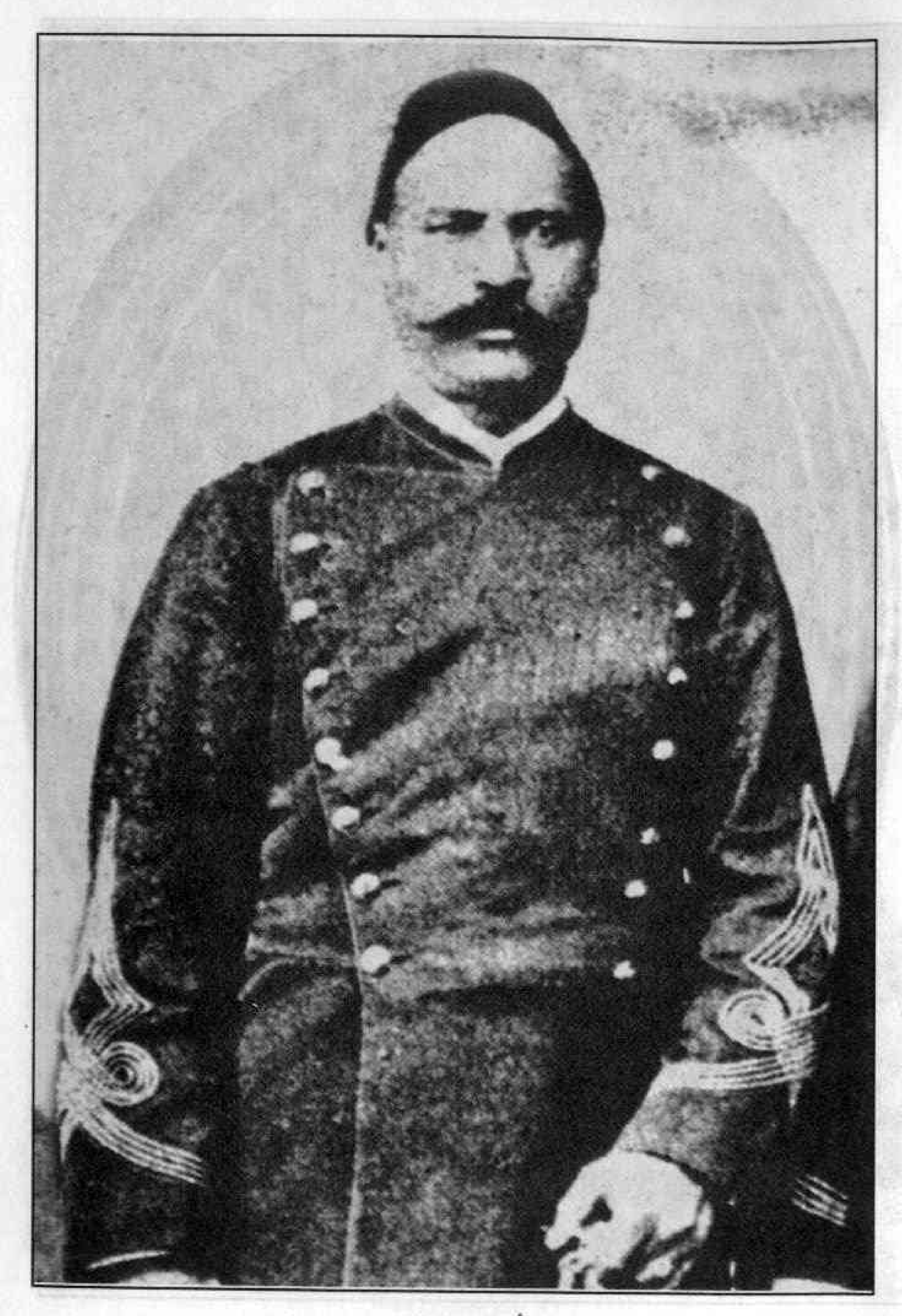
مات مقتولا فى قصره ببنها بعد ٦ سنوات من الحكم



سعيد باشا
أقنعه ديليسبس بحفر قناة السويس



الخديو توفيق
مؤامرة لفتح مصر للاحتلال الإنجليزى



أحمد عرابى

قال للخديو توفيق: نحن لسنا عبيدا حتى نورث



الخديو إسماعيل
حقق حركة إصلاحية لكنه وقع تحت إغراءات القروض

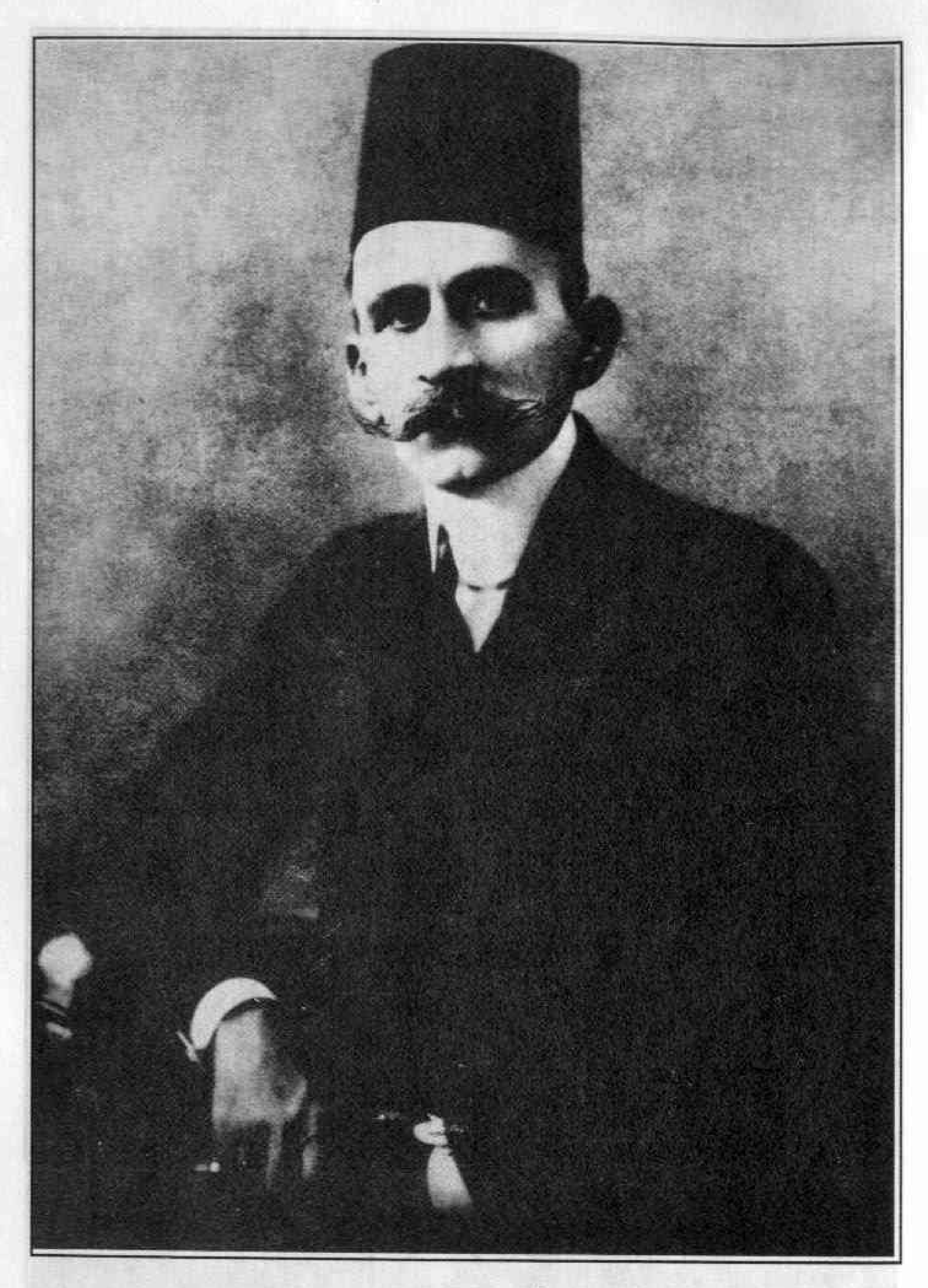


مصطفى كامل

نذر حياته للدفاع عن مصر ضد الإنجليز



الخديو عباس حلمى الثانى
انتهز الإنجليز فرصة وجوده بالأستانة وخلعوه



الأمير حسين كمال
غضب الشعب لقبوله الحكم بأمر الإنجليز وجرت محاولتان لاغتياله



الملك أحمد فؤاد
لم يتورع عن حل البرلمان فى أول يوم انعقاده

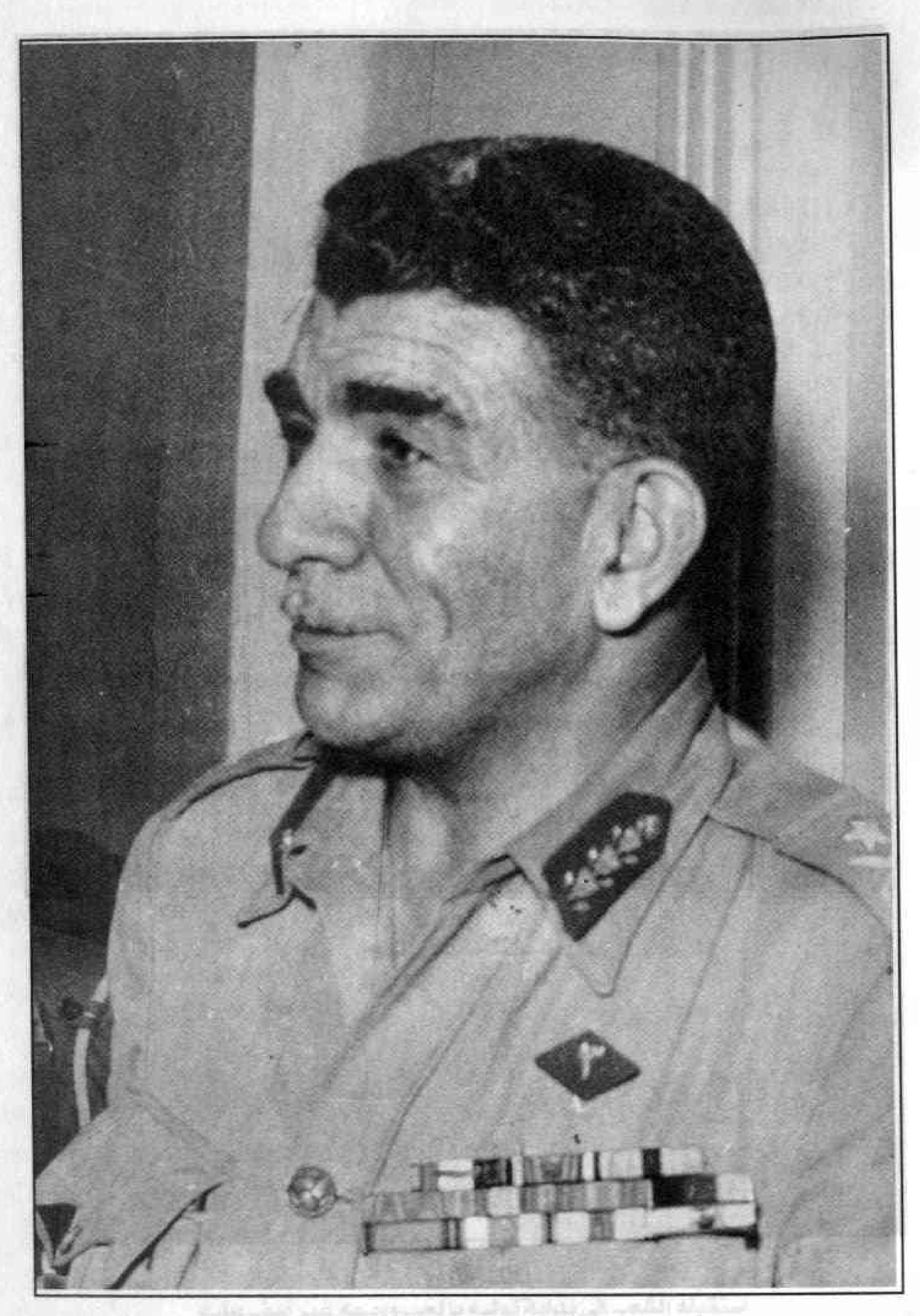


سعد زغلول
رمز ثورة شعب مصر وكفاحه عام ١٩١٩ وأول رئيس وزراء من الشعب



ناريمان

اختارها فاروق زوجة له بعد أن كان محددا زواجها من محمد زكى هاشم



الرئيس محمد نجيب
كان لظهوره يوم ٢٣ يوليو تأثير كبير فى تأييد الشعب للثورة



جمال عبد الناصر
من الثورة إلى السلطة



الملك فاروق
استقبله الشعب فى بداية توليه بالحب وودعه غير آسف عليه

الفهرس